الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
The people's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Reseach
المركز الجامعي أحمد صالحي –النعامة-
Naama University centre –salhi ahmed-

معهد العلوم الإنسانية و الإجتماعية
قسم العلوم الإسلامية

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة و الدراسات القرآنية بعنوان:

المنهج البلاغي في تفسير الكشاف للإمام الزمخشري (دراسة تحليلة)

ميدان العلوم الإنسانية و الإجتماعية فرع العلوم الإسلامية شعبة لغة و حضارة تخصص لغة و دراسات قرآنية

إشراف الأستاذ: بودومة عبد العزيز

الأستاذ الخبير: زايدي محمد

إعداد الطالب(ة): مباركي محمد

الموسم الجامعي: 2025/2024 الموافق: 1447/1446

بسم الله الرحمن الرحيم

وثيقة التعهد بالنزاهة

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

المركز الجامعي صالحي أحمد – النعامة –

معهد العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة قسم العلوم الإسلاميّة .

تصريح شرفي

خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

أنا الممضي أسفله :

السيد (ة) : مباركي محمد

الصفة (طالب – أستاذ – باحث)

الحامل (ة) لبطاقة التعريف الوطنية رقم : 200681052

الصادرة بتاريخ : 2016/11/06

المسجل (ة) بكلية / معهد : العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية

قسم: العلوم الإسلامية رقم التسجيل 209765991 6

والمكلف (ة) بإنجاز أعمال بحث (مذكرة التخرج – مذكرة ماستر – مذكرة ماجيستير – أطروحة دكتوراه) عنوانها : المنهج البلاغي

من تفسير الكشاف للإمام الزمخشري

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية في إنجاز البحث المذكور أعلاه .

التاريخ :

توقيع المعني

C.U.N

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي — المركز الجامعي صالحي أحمد بالنعامة

معهد العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة — قسم العلوم الإسلاميّة

رقم : ...../ج ع 20 — النعامة في ..27..نوفمبر..2025

إذنٌ بالطبع (ماستر)

في يوم: 22/09/2025 الموافق لـ .....

أذِنَ الأستاذ المشرف والأستاذ الخبير : أ/ بودومة عبد العزيز، أ/ رابدي محمد

للطالب : مباركي محمد المولود بتاريخ : 22-09-1968 في .....

رقم التسجيل: ..... تخصص: لغة ودراسات قرآنيّة

للموسم الجامعي : 2025/2024 بطبع مذكرته الموسومة بـ :

المنهج البلاغي في تفسير الكشاف للإمام الزمخشري

الأستاذ المشرف: بودومة عبد العزيز

الأستاذ الخبير: رابدي محمد

رئيس القسم: رئيس قسم العلوم الإسلامية أ.د. ربيعي الميلود

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People'sDemocraticRepublic of Algeria
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
المركز الجامعي صالحي أحمد – النعامة
Uuiversity Centre Of Nâama

معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإسلامية

النعامة : 27 نوفمبر 2025

شهادة تصحيح مذكرة ماستر

يشهد الأستاذ (ة) : بودومة عبد العزيز
بصفته : مشرفا (رئيس لجنة مناقشة أو مشرف)
الموسومة بـ : المنهج البلاغي في تفسير الكشاف للزمخشري
دراسة تحليلية
من إعداد :
1 – الطالب (ة) : مباركي محمد
2 – الطالب (ة) : /
تخصص : لغة ودراسات قرآنية
تاريخ المناقشة: 29/09/2025

أن الطالب قد التزم بالملاحظات المقدمة له من قبل اللجنة ،وأن المذكرة قابلة للإيداع النهائي .

إمضاء الأستاذ(ة) المفوض (ة) بمتابعة التصحيح

بودومة عبد العزيز

رئيس القسم

رئيس قسم العلوم الإسلامية
أ.د. الربيعي الميلود

إهداء

إلى روح والدي رحمهما الله و أسكنهما فسيح جناته، إلى من زرعوا فينا حب العلم و طلبه، و فتحوا أمامنا أبواب المعرفة، إلى أساتذتنا الكرام الذين لم يبخلوا علينا بتوجيهاتهم السديدة في كل المراحل الدراسية.

إلى كل من كان له دور في تشكيل مسيرتنا العلمية منذ انطلاقها، إلى كل من ساعدني بكلمة أو نصيحة أو توجيه، إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة هذا الجهد.

شكر و عرفان

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات و بعد:

بداية أشكر الله عز و جل الذي سهل لي إتمام هذا البحث، فلا سهل إلا ما جعله سهلا، كما أقدم شكري و امتناني إلى كل من ساعدني في هذا العمل سواء من الزملاء أو الأساتذة الكرام.

و أخص بالشكر و العرفان الأستاذين الفاضلين، الأستاذ المشرف و الأستاذ الخبير اللذين كان لهما الفضل الكبير في توجيهي و دعمي، فقد كان لتوجيههما و ملاحظاتهما بالغ الأثر في إخراج هذا العمل.

و أخيرا أوجه الشكر لكل من قدم لي فكرة أو نصيحة أو معلومة . وأخص بالذكر أعضاء اللجنة الموقرة ، فشكر الله سعيكم و جزاكم خيرا على كل ذلك.

خطة البحث :

- مقدمة

- مدخل

- الفصل الأول (الجانب النظري)

- المبحث الأول (ضبط المصطلحات)

- المبحث الثاني: التعريف بالمؤلف

- الفصل الثاني: قراءة في كتاب الكشاف للزمخشري

- المبحث الأول: التعريف بكتاب الكشاف

- المبحث الثاني: المنهج العام للزمخشري

-المبحث الثالث: الدراسة البلاغية عند الزمخشري

- الخاتمة

- قائمة المصادر والمراجع

- فهرس الموضوعات .

فهرس الآيات .

مقدمة

مقدمة:

الحمد لله الذي أنزل القرآن بلغة العرب، و جعله معجزة خالدة، و تبيانا لكل شيء، و الصلاة و السلام على النبي العربي الكريم، أفصح من نطق بلغة الضاد، و على آله و صحبه إلى يوم الدين، أما بعد: فلقد حظي القرآن الكريم منذ نزوله باهتمام ثلة من علماء المسلمين في مختلف العصور، حيث بذلت الجهود لتفسيره، و تبيان معانيه، و استكشاف أسراره، و كانت البلاغة من بين هذه الجوانب أحد المفاتيح لفهم دلالة الخطاب القرآني لما تحمله من قدرة على كشف وجوه الإعجاز، و رصد جماليات النص، و استنباط مراميه العميقة، حيث برزت في تاريخ التفسير الإسلامي عدة اتجاهات و مناهج من بينها: المنهج التفسيري البلاغي الذي يعنى بالكشف عن أسرار البيان القرآني من خلال أدوات البلاغة العربية و فنونها، و يعد هذا المنهج من أغنى المناهج و أدقها لما يتطلبه من إلمام واسع بقواعد اللغة، و في هذا السياق يأتي تفسير الكشاف للإمام جار الله الزمخشري (ت 538ه) كواحد من أهم التفاسير البيانية التي تعنى بهذا الجانب، حتى اعتبره البعض ذروة التفاسير البلاغية في حقل الدراسات القرآنية، فقد سخر الزمخشري علمه العميق بالعربية و بلاغتها، و معارفه الواسعة بالنحو و الصرف و المعاني والبيان لتقديم تفسير لغوي بلاغي متكامل للقرآن الكريم، و لم يكن الزمخشري مفسرا تقليديا يقتصر على الشرح اللغوي أو نقل الأقوال، بل كان ناقدا بلاغيا يتحرى دقة اللفظة، و جمال الأسلوب، و عمق التراكيب، و يظهر ما في النص من فنون الخطاب، و قد جعله هذا التوجه محل عناية علماء البلاغة و اللغة، كما أثار جدلا واسعا بين المفسرين، دفع بعضهم إلى الرد عليه، أو الإفادة منه، مع التحفظ على بعض توجهاته الكلامية، لا سيما ما اتصل منها بمذهبه الاعتزالي.

و مع ذلك فإن الكشاف قد حظي باهتمام كبير من الباحثين ، خاصة في جانبه البلاغي.

و من هنا تنبع أهمية بحثنا هذا و الموسوم بالمنهج البلاغي في تفسير الكشاف (دراسة تحليلية)

أهمية البحث: تكمن أهمية البحث في عدة جوانب:

- تسليط الضوء على المنهج البلاغي: وذلك بالسّعي إلى توضيح هذا المنهج في التفسير و أهميته في فهم النص القرآني و كيفية تطبيقه في الكشاف.

- إبراز دور الزمخشري: و ذلك بتسليط الضوء على الدور الرائد له في استخدام المنهج البلاغي في التفسير، و إبراز جهوده في الكشف عن جمال القرآن الكريم و بلاغته.

- الكشف عن وجوه الإعجاز في القرآن الكريم: بإظهار كيف ساهم المنهج البلاغي في الكشف عن إعجاز القرآن الكريم من خلال تحليل الأساليب البيانية و الصور البلاغية المستخدمة في النص القرآني.

- أهمية البلاغة في التفسير: يبرز البحث أهمية علم البلاغة في فهم النص القرآني و كيف أن دراسة البلاغة تساعد في الكشف عن المعاني العميقة للدلالات البلاغية للنص.

- دراسة تطبيقية: يقوم البحث بدراسة تطبيقية لمنهج الزمخشري في الكشاف مما يساهم في فهم أعمق لتطبيقات المنهج البلاغي في التفسير.

أهداف البحث: وهي كالتّالي:

- تحديد المنهج البلاغي في تفسير الكشاف.

- استعراض أهم المفاهيم البلاغية التي استخدمها الزمخشري في تفسيره.

- تحليل بعض النماذج من تفسير الكشاف لتوضيح تطبيق المنهج البلاغي.

- بيان دور المنهج البلاغي في الكشف عن إعجاز القرآن الكريم.

- استخلاص أهم النتائج و التوصيات حول المنهج البلاغي في التفسير.

كما يهدف البحث إلى دراسة هذا المنهج عبر تحليل ملامحه و أدواته و بيان خصائصه بتفسير القرآن الكريم، و بيان أثره فيمن جاء بعده من المفسرين، لا سيما فيما يتعلق بالجانب البلاغي فيه، و يمكن إدراج بحثنا هذا ضمن الدراسات البلاغية و التفسيرية التي تسهم في إبراز الجوانب الفنية و الإعجازية في القرآن الكريم، كما يفتح مجالا لفهم العلاقة بين البلاغة و التفسير، و آثار الخلفيات العقائدية في توجيه التحليل البلاغي للنص القرآني، و سنقوم في هذا البحث بدراسة المنهج البلاغي في الكشاف من خلال:

- تحديد المفاهيم الأساسية للبلاغة، و أهميتها في تفسير القرآن الكريم.

- استعراض منهج الزمخشري في تفسيره، مع التركيز على الجوانب البلاغية.

- تحليل الأمثلة و الشواهد البلاغية التي استخدمها الزمخشري في تفسيره و بيان أثرها في استنباط المعاني.

- تقييم ايجابيات و سلبيات المنهج البلاغي في الكشاف.

- بيان اثر هذا المنهج في فهم و تفسير القرآن الكريم لدى الدارسين، و اثر هذا المنهج على من جاء بعد الزمخشري من المفسرين و البلاغيين.

- الوقوف على أهم الانتقادات و المآخذ على هذا المنهج و صاحبه.

إشكالية البحث:

يتأسس هذا البحث على إشكالية محورية مفادها:

- ما خصائص المنهج البلاغي الذي سلكه الزمخشري في تفسير الكشاف؟ و ما مدى فعاليته في الكشف عن أوجه الإعجاز البياني للقرآن الكريم؟

و من هذه الإشكالية تنبثق مجموعة من الأسئلة الفرعية منها:

- كيف وظف الزمخشري معارف النحو و البلاغة و اللغة في خدمة التفسير؟

- ما موقع الكشاف في تطور التفسير البلاغي؟

- ما ابرز الأساليب البلاغية التي ركز عليها الزمخشري؟

- ما حدود نجاح هذا المنهج، و ما الملاحظات المنهجية و العلمية عليه؟

خطة البحث:

و للإجابة على هذه الأسئلة اقتضت طبيعة البحث أن ينقسم إلى مدخل و فصلين.

مدخل: المنهج البلاغي و مباحثه.

الفصل الأول: الجانب النظري فيه، و يتناول الخلفية العلمية للموضوع من خلال عرض موجز لمنهج التفسير، و التعريف بالمنهج البلاغي، و مكانته بين المناهج، مع بيان أهمية علم البلاغة في فهم النص القرآني، و كذلك التعريف بشخصية الإمام الزمخشري و مكانته العلمية، أما الفصل الثاني فهو عبارة عن قراءة في كتاب الكشاف و يعنى هذا الفصل بالتعريف بكتاب الزمخشري هذا (الكشاف)، كما يعنى بتحليل المنهج البلاغي فيه، من خلال استقراء تفسيره، و يسلط

الضوء على مظاهر التوظيف البلاغي، و نماذج من تحليله البياني، و سيتناول البحث في خاتمته أهم النتائج التي تم التوصل إليها.

خاتمة: ذكرنا فيها أهمية البلاغة القرآنية و النتائج المتوصل إليها.

و قد اعتمدنا في البحث على المنهج الوصفي التحليلي، حيث يقوم بوصف و تحليل النصوص القرآنية في الكشاف و تفسيراتها البلاغية.

و ختاما نأمل أن نكون قد وفقنا في بحثنا هذا المتواضع، و ذلك ببيان بعض جوانب هذا المنهج في التفسير.

مدخل: المنهج البلاغي في التفسير و مباحثه:

المنهج البلاغي هو المنهج الذي تدور مباحثه حول بلاغة القرءان الكريم في صوره البيانية كالإستعارة و الكناية و التشبيه، و من المفسرين الكبار الذي ينتهج هذا المنهج في التفسير، و الذي كان له تأثير كبير في من بعده ممن خاض في هذا الفن (التفسير)، إمام اللغة و البلاغة: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري جار الله المتوفي سنة 538 هـ ، في تفسيره المعروف : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل، و الزمخشري يحدثنا في مقدمة تفسيره هذا الكشاف أنه قد لبث أعواما ثلاثة يؤلف كتابه هذا،إذ يقول : " و وفق الله و سدد ففرغ منه في مقدار مدة خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه"[1] و قد ذكر الزمخشري أن بعض علماء المعتزلة استفتوه في بعض الآيات فأعجبوا بتفسيره لها، ثم اقترحوا عليه أن يملي عليهم "الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل"، غايتهم في ذلك أن يفسر لهم القرءان تفسيرا اعتزاليا يتضمن الوجوه المعنوية المحتملة لمعاني النص القرءاني، و قد أعجب أيما إعجاب بتفسيره هذا الكشاف يقول :

إن التفاسير في الدنيا بلا عدد و ليس فيها لعمري مثل كشافي

إن كنت تبغي الهدى فالزم قراءته فالجهل كالداء و الكشاف كالشافي[2]

إن دراسة المنهج البلاغي في هذا الكتاب، تكشف عن منهج فكري متكامل مع النصوص القرءانية، بحيث أنه يعتمد على التحليل اللغوي الدقيق و التأمل في المعاني و الدلالات، مما يجعل هذا التفسير مادة علمية، ثرية للبحث في البلاغة القرءانية و النقد الأدبي و اللغوي في آن واحد، و انطلاقا مما سبق تأتي هذه الدراسة لتسلط الضوء على المنهج البلاغي في تفسير الكشاف، من خلال تحليل نماذج مختارة، و مدى تأثير هذا المنهج في التفاسير اللاحقة، كما تبرز عمق هذا المنهج في ربط البلاغة بالتفسير.

---

[1] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر الزمخشري، جار الله (ت 538هـ)، تحقيق عادل عبد الموجود- مكتبة العبيكان، الرياض، ط1 (1418هـ/1998م)، ج1،ص3.

[2] ديوان الزمخشري لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق و نشر من قبل دار صادر بيروت، ط1، (1429هـ/2008م)، ص 396.

الفصل الأول:

المبحث الأول: ضبط المصطحات

المبحث الثاني: التعريف بالمؤلف

المبحث الأول: ضبط المصطلحات

المطلب الأول: المنهج

المطلب الثاني: البلاغة

المطلب الثالث: التفسير

نتحدث فيه عن الجانب النظري من هذا البحث و فيه مبحثان:

في المبحث الأول نضبط المصطلحات ما تعلق بالمنهج و البلاغة و التفسير و المبحث الثاني فيه الحديث عن صاحب كتاب الكشاف الإمام الزمخشري نبذة مختصرة عنه، و عن مؤلفاته.

المبحث الأول: ضبط المصطلحات

المطلب الأول: المنهج: هو الطريقة أو الأسلوب الذي يسير عليه الإنسان في التفكير أو البحث أو الدراسة لتحقيق غاية معينة، و في السياق العلمي يقصد به : الخطة المنظمة التي يتبعها الباحث في دراسة موضوع ما، للوصول إلى نتائج دقيقة و مفهومة.

فمثلا : المنهج البلاغي : يعني طريقة تحليل النصوص من حيث جماليات اللغة، و التراكيب، و الصور البيانية، و الأساليب البلاغية[1] و هذا الذي يعنينا في بحثنا هذا، المنهج البلاغي في تفسير الكشاف فقد اهتم هذا المنهج بجماليات التعبير في القرءان: كالتشبيه، و الإستعارة و الكناية و التقديم و التأخير .... إلخ

فهذا المنهج يهتم بفنون البلاغة، هدفه إظهار روعة التعبير القرءاني و تأثيره البلاغي، كما أنه يدرس الأساليب القرءانية مثل : الإلتفات و التقديم و التّأخير، و السؤال و الجواب وغيره، و يتبين أثر هذه الأساليب في المعنى و الدلالة، و الزمخشري في كتابه الكشاف أشهر من استخدم هذا المنهج، جمع فيه بين البلاغة و اللغة و عقيدة الإعتزال.

المطلب الثاني : البلاغة: مأخوذة من بلغ: أي وصل و انتهى، يقال: بلغ فلان حاجته، أي وصل إليها[2] و البلاغة اصطلاحا في علم اللغة: "هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته و حسن تأثيره في النفس[3] بمعنى آخر: هي أن تعبر عن المعنى بطريقة واضحة، جميلة، و مؤثرة، و تناسب الموقف الذي يقال فيه الكلام.

و مكونات علم البلاغة: علم المعاني، يهتم بمطابقة الكلام للسياق و الموقف.

---

[1] محمد حسين الصغير، المستشرقون و الدراسات القرءانية: الناشر دار المؤرخ العربي، سنة النشر (1999م/1420ه)، ص 103.

[2] ابن منظور،جمال الدين ابن محمد ابن منظور الإفريقي (ت 711ه)، لسان العرب، دار الجيل، دار لسان العرب بيروت ، 1988 ،ج1، ط1 ص258.

[3] مجدي وهبة، معجم المصطلحات العربية في اللغة و الأدب، مكتبة لبنان بيروت ط19842، ص79.

مثل : التقديم و التأخير، التعريف و التنكير ...إلخ

- علم البيان: يدرس الصور البلاغية مثل: التشبيه و الإستعارة و الكناية و المجاز.

- علم البديع: يركز على المحسنات اللفظية و المعنوية مثل : الجناس، الطباق، السجع، التورية مثال: لتوضيح البلاغة . قوله تعالى: ﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۖ﴾سورة البلد، الآية 11 اقتحم: توحي بالقوة و الصعوبة، العقبة الشديدة رمز العمل الصالح الصعب، بلاغة الآية: تعبير قوي عن التحدي و الإرادة.

و قد وردت تعريفات كثيرة للبلاغة عند العرب، فقد عرفها السكاكي تعريفا دقيقا فقال: "هي بلوغ المتكلم في تأدية المعنى حدا له إختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها، و إيراد أنواع التشبيه و المجاز و الكناية على وجهها"[1] و يرى المبرد "أن حد البلاغة إحاطة القول بالمعنى، و اختيار الكلام و حسن النظم، حتى تكون الكلمة مقاربة أختها و معاضدة شكلها و أن يقرب بها البعيد و يحذف منها الفضول[2] و في "البيان و التبيين" للجاحظ قال : "لا يكون الكلام يستحق إسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه، و لفظه معناه، فلا يكون لفظه إلى سمعك اسبق من معناه إلى قلبك"[3] ، أما ابن الأثير فقد فرق بين الفصاحة و البلاغة قائلا: "كل كلام بليغ فصيح، و ليس كل فصيح بليغا، و البلاغة عنده لا تكون إلا في اللفظ و المعنى بشرط التركيب، فاللفظة المفردة لا تنعت بالبلاغة، و تنعت بالفصاحة.[4] و قد يكون القزويني آخر من وقف على علوم البلاغة من المتأخرين، فميز بين بلاغة الكلام و بلاغة المتكلم، و بلاغة الكلام عنده: مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته.[5] و البلاغة في أحدث تعاريفها لا تخرج عما ذكره القزويني، فتكون في

---

[1] السكاكي، أبو يوسف إسماعيل ابن أحمد السكاكي (ت606ه)، مفتاح العلوم، تحقيق: أكرم عثمان يوسف، دار الرسالة بغداد ط1، 1400ه/1981م.

[2] المبرد، أبو علي محمد ابن محمد المبرد، (ت285ه)، البلاغة، تحقيق: رمضان عبد التواب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1 (1405ه/1989م).

[3] الجاحظ، أبو عثمان عمر ابن بحر ابن محبوب البصري (ت255ه)، البيان و التبيين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، القاهرة مكتبة الخانجي، 1968، 115/1.

[4] ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، مطبعة مصطفى الحلبي و اولاده، مصر (1358ه/1939م) 69/1.

[5] القزويني، أبو الريحان محمد بن أحمد القزويني، (ت440ه)، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب العالمي، الدار الإفريقية مصر، ط1-3 (1409ه/1989م) ج1،ص80.

معنيين: أحدهما بلاغة المتكلم و الثاني بلاغة الكلام، و هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال، و قيل: "بأن البلاغة تنبئ عن الوصول و الإنتهاء، يوصف بها الكلام و المتكلم فقط دون المفرد."[1]

و عموما فالبلاغة هي: فن التعبير المؤثر الذي يجمع بين جمال الأسلوب و وضوح المعنى و مناسبة السياق.

المطلب الثالث: التفسير معناه:

لغة: هو الإيضاح و التبيين و منه قوله تعالى : "﴿ وَلَا يَاتُونَكَ بِمَثَلٍ اِلَّا جِئْنٰكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً ﴾" الفرقان33. و هو مأخوذ من الفسر و هو الإبانة و الكشف، قال في القاموس: "الفسر: الإبانة و كشف المغطى كالتفسير و الفعل كضرب و نصر[2]، و قال أبو حيان في البحر المحيط: " ... و يطلق التفسير أيضا على التعرية للإنطلاق، قال ثعلب: فسرت الفرس: عريته لينطلق في حصره، و هو راجع لمعنى الكشف فكأنه كشف ظهره لهذا الذي يريده منه من الجري"[3] و من هنا يتبين لنا أن التفسير يستعمل لغة في الكشف الحسي و في الكشف عن المعاني المعقولة، و استعماله في الثاني أكثر من استعماله في الأول[4].

اصطلاحا: إذا تتبعنا أقوال العلماء الذين تكلفوا الحد للتفسير وجدناهم قد عرفوه بتعاريف كثيرة يمكن إرجاعها إلى واحد منها و هو أنه: بيان كلام الله، أو انه المبين لألفاظ القرآن و مفهوماتها[5]، فهو بيان معاني القرآن الكريم و استخراج الأحكام و الحكم منه، و شرح ألفاظه، و توضيح مقاصده بحسب ما تقتضيه لغة العرب، و بالاستعانة بالعلوم الأخرى كالحديث و الفقه و أصوله، و عرفه الإمام الزركشي فقال: " هو علم يفهم به كلام الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه و سلم و بيان معانيه، و استخراج أحكامه و حكمه." [6] و قال الإمام السيوطي في تعريفه

---

[1] الشريف الجرجاني، علي بن محمد بن علي الحسيني، (ت816ه)، كتاب التعريفات (معجم فلسفي منطقي، تحقيق: عبد المنعم حفني، دار الرشاد القاهرة، ص56

[2] القاموس المحيط، الإمام مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، (ت817ه)، ط8، (1426ه/2005م)، مؤسسة الرسالة للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت لبنان، ج2، ص110.

[3] البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي أثير الدين محمد بن يوسف ابن علي ابن يوسف الغرناطي، (ت 745ه) ،ط1،(1420ه/2000م) دار الفكر بيروت، الجزء الأول،ص13.

[4] التفسير و المفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي، الجزء الأول، ص 12، الناشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 2000.

[5] نفس المصدر السابق، ص14.

[6] البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، (ت794ه)، المجلد الأول، ص13، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة بيروت لبنان.ط:1391ه/1971م.

للتفسير: " هو علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن الكريم و مدلولاتها و أحكامها الإفرادية و التركيبية و معانيها و ما يستفاد منها"[1]

و الذي يعنينا في بحثنا هذا هو التفسير عند الزمخشري و المنهج المتبع فيه، يعد التفسير عنده عملا علميا مركبا، جمع فيه بين التحليل البلاغي العميق، و النظر العقلي الاعتزالي، و الضبط النحوي و اللغوي، و يتجلى ذلك بوضوح في تفسيره "الكشاف".

و يمكن القول إن التفسير عند الزمخشري هو علم يعنى ببيان المعاني الدقيقة للقرآن الكريم من خلال التركيب البلاغي و النحوي للآيات، و إظهار وجوه الإعجاز البياني مع الإستناد إلى العقل و المنطق في فهم النصوص الشرعية دون الاكتفاء بالنقل وحده.

فمن أهم خصائص التفسير عند الزمخشري: المنهج البلاغي، فهو أول من جعل البلاغة المحور الأساسي لفهم النص القرآني مبينا ما في الآيات من أساليب، يقول في مقدمة تفسيره: "فهذا كتاب يكشف عن وجوه إعجازه، و يزيح القناع عن محاسن نظامه، و أبدع أسلوبه، و يبرز محاسنه لعيان الناظر، و ينبئ عن لطائفه الخفية، و يدل على بدائع معانيه الجلية[2] فيظهر جليا اهتمام الزمخشري بالجانب البلاغي و البياني في تفسيره، و يعكس منهجه في التركيز على الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم.

[1] السيوطي، جلال الدين السيوطي، (ت911ه)، الإتقان في علوم القرآن، ت: أحمد محمد شاكر، دار التراث القاهرة، 1978م.

[2] الزمخشري، محمود بن عمر الزمخشري، جار الله (ت538ه)، مقدمة الكشاف ص من 3 إلى 5 دار احياء التراث العربي.

المبحث الثاني: التعريف بالمُؤَلّف (الزمخشري)

المطلب الأول: التعريف بصاحب التفسير

المطلب الثاني: مؤلفات الزمخشري

المطلب الثالث: المنهج العلمي للزمخشري

المبحث الثاني: التعريف بصاحب الكتاب، الإمام الزمخشري و بعض مؤلفاته،و المنهج العلمي الذي سلكه في مؤلفاته التفسيرية و اللغوية.

المطلب الأول: التعريف بصاحب التفسير: هو أبو القاسم محمود بن عمر ابن محمد ابن عمر الخوارزمي الزمخشري، الإمام الحنفي المذهب المعتزلي العقيدة، لقب بالخوارزمي لأنه ولد في منطقة خوارزم بخرسان، و لقب بالزمخشري لأنه ولد في قرية "زمخشر" في إقليم خوارزم، و لقب بجار الله لأنه جاور في مكة المكرمة عند بيت الله الحرام سنوات عديدة.[1]

مولده و نشأته: ولد صاحب الكشاف في رجب سنة 467هـ بزمخشر و قدم بغداد و لقي كبار علمائها، و أخذ عنهم، و دخل خراسان مرارا عديدة، و ما دخل بلدا إلا اجتمع عليه أهلها و تتلمذوا عليه، و ما ناظره أحد إلا وسلم و اعترف به، و قد عظم صيته و طار ذكره حتى صار إمام عصره.[2]

و الزمخشري أحد علماء اللغة و التفسير الكبار في الإسلام و يعد من أبرز أئمة المعتزلة في القرن السادس الهجري، كان بارعا في اللغة العربية و علومها، و خاصة النحو و البلاغة، و معظم من ترجم للزمخشري أشاد بفضله، فهو واسع العلم، كثير الفضل، غاية في الذكاء و جودة القريحة متفننا في كل علم، معتزليا قويا في مذهبه، مجاهرا حنفيا.[3]

تتلمذ الزمخشري على محمد بن جرير الصني الأسفهاني، أبو مضر النحوي الذي كان يلقب "بفريد عصره"، و كان وحيد دهره و أوانه في علم اللغة و النحو، و قد عاش الزمخشري إحدى و سبعين سنة، لقب بفخر خوارزم، قال عنه ابن خلكان: "كان إمام عصره من غير مدافع، تشد

---

[1] صلاح عبد الفتاح الخالدي، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، دار القلم (دمشق 2008، ص532)

[2] محمد حسين الذهبي، التفسير و المفسرون، الجزء1، مكتبة وهبة القاهرة 2000، ص304.

[3] السمعاني، الأنساب، عبد الكريم بن محمد (ت562هـ) ت: عبد الله عمر البارودي، بيروت دار الجنان، 1988، ج3، ص163.

إليه الرحال في فنونه، أخذ النحو عن أبي مضر منصور، و صنف التصانيف البديعة[1] ذكر بعضها و أضاف ابن العمار الحنبلي بعضها الآخر.[2]

و الزمخشري كما هو معروف عنه ناثر و شاعر، يغلب على نثره السجع الخالي من التكلف، و من أمثلته قوله في : " يا أبا القاسم إن خصال الخير كتفاح لبنان، كيفما قلبتها دعتك إلى نفسها، و إن خصال السوء كحسك (السعدان) أنى وجهتها نهتك عن مسها، فعليك بالخير إن أردت الرفول في مطارف العز الأقعس و إياك و الشر لأن صاحبه ملتف في اطمار الأذل الأتعس.."[3]

يروي الزمخشري عن أمه أنها كانت تقية رفيقة بالحيوان، لما يتحدث عن سبب قطع رجله فيقول: " كنت في صباي أمسكت عصفورا و ربطته في خيط في رجله فأفلت من يدي، فأدركته و قد دخل في خرق، فجذبته، فإنقطعت رجله في الخيط، فتألمت والدتي و قالت: "قطع الله رجلك كما قطعت رجله"[4]، و قيل : قطعت رجله بسبب خراج، و قيل: أصابها برد الثلج، و قيل: سقط عن الدابة فانكسرت و صنع عوضها رجلا من خشب، و يروي أنه فقد أباه و هو بعيد عنه، حين كان يطلب العلم في بخارى، و كان والده يتصبر و يتحمل رغبة في تعليم ولده و تهذيبه، يقول الزمخشري و هو يبكيه و يشيد بورعه و تقواه و زهده:

فقدته فاضلا فاضت مآثره *** العلم و الأدب المأثور و الورع

صام النهار و قام الليل و هو شج *** من خشية الله كابي اللون ممتقع

و يقول في موضع آخر و هو يبكيه:[5]

يا حسرتا أنني لم أرو غلتي *** بزمان فيه نجتمع

قد كنت أشكو فراقا قبل منقطعا *** و كيف لي بعده بالعيش منقطع

---

[1] ابن خلكان أحمد بن محمد بن ابراهيم بن أبي بكر ابن خليكان، (ت681هـ)، وفيات الأعيان و أنباء ابناء الزمان،ت: احسان عباس، دار صادر بيروت، ط2، 1972 ،ص168.

[2] شذرات الذهب في أخبار من ذهب لإبن عماد الحنبلي، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط1، (1406هـ/1986م)، ج3، ص119.

[3] الزمخشري، مقامات الزمخشري، دار الكتب العلمية بيروت (ط1) (1402هـ /1982م) (ص17/16).

[4] ابن خلكان، وفيات الأعيان، المصدر السابق، ج 5، ص169.

[5] ديوان الزمخشري، الإمام محمود بن عمر الزمخشري، (ت538هـ)، ت: عادل عبد الموجود، مكتبة العابيكان الرياض، ط1، 1418هـ/1998م، ص72.

إضافة إلى علمه الغزير كان صاحب سيرة محمودة، صاحب دين و ورع و صلاح و يظهر ذلك فيما يكتبه يقول: " من استوحش المنكرات استأنس عند السكرات، و طوبى لمن سره المعروف فاهتز، و ساءه المنكر فاشمأز، و قام بأمر الله في إهانة الأشرار و إعانة الأبرار[1]، و يقول في ديوانه:

المرء في دنياه ليس بخالد *** فعلام يطلبها بجهد جاهد

هو طالب الدنيا و طالبه الردى *** و الطالب الفلكي أسرع واحد[2]

و كان الزمخشري معتزليا، داعية إلى الإعتزال، مجاهرا به، حتى نقل عنه أنه إذا قصد صاحبا له، و استأذن عليه في الدخول فيقول لمن يأخذ له الإذن: قل له: "أبو القاسم المعتزلي بالباب"[3]

و كان الزمخشري محبا للعرب و العربية، قال: "العرب نبع صلب المعاجم، و الغرب مثل الأعاجم[4]، و قال في مقدمة كتابه "الكشاف": "الله أحمد أن جعلني من علماء العربية أو جبلني على الغضب للعرب و العصبية"[5] و قال : "الحمد لله الذي فضل على جميع الألسنة لسان العرب، كما فضل الكتاب المنزل به على سائر الكتب".[6]

و أما عن أخبار أسرة الزمخشري فقليلة، و تجمع بين الفقر و التقوى، و أنها أسرة على صلة بالعلم و الأدب، و أن بعض أعضاء هذه الأسرة المقربين قد رحلوا في حياته فذكرهم في مراثيه.[7]

توفي الإمام الزمخشري في مدينة جرجانية بخوارزم ليلة عرفة من سنة ثماني و ثلاثين و خمسمائة للهجرة (538هـ) عن عمر يناهز احدى و سبعين سنة و أربعة أشهر و اثني عشر يوما[8]، و دفن بخوارزم، و أقيمت على قبره قبة مر بها ابن بطوطة في أثناء رحلته التي قام بها إلى تلك البلاد، توفي رحمه الله و غفر له بعدما خلف للمكتبة الإسلامية و العربية مجموعة من المؤلفات،

---

[1] الزمخشري، أطواق الذهب، المقالة السادسة و العشرون،ط1، ت ن: 1977م، ص35/34.

[2] ديوان الزمخشري، 36 و انظر 43 أيضا.

[3] ابن خلكان، وفيات الأعيان 255/4.

[4] فاضل السمرائي، الدراسات النحوية و اللغوية عند الزمخشري، دار عمار عمان، ط1، 1983م، ص13.

[5] الزمخشري، الكشاف، مصدر سابق، ج1، ص3.

[6] الزمخشري، مقدمة الأدب، ص01، و انظر الكشاف 28/1

[7] الدكتور كمال جبري عبهري، الزمخشري، سيرته و آثره و مذهبه النحوي، دار الجنان للنشر و التوزيع 2014، ص26.

[8] السيوطي، الإمام جلال الدين السيوطي، طبقات المفسرين، ورقة 31 و وفيات الأعيان، مصدر سابق، ط1.

و كان من أبرزها الكتاب الذي نجري بحثنا حول بلاغته و هو كتاب "الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل".

ثقافته:

تلقى الزمخشري العلم في حياته الأولى في خوارزم، و اتصل بشيوخها ثم طاف البلاد و سمع من مشايخ متعددين، و لم يكن مبرزا في علم واحد بل برز في عدة فنون، فقد كان نحويا فاضلا، سمع الحديث و تفقه و صار إمام عصره في عدة علوم حتى لقب "بفخر خوارزم"، ألف في النحو و اللغة و الأمثال و غريب الحديث و التفسير و العروض و الفقه، و له ديوان شعر[1]، و كان يكره الغلو و الفلسفة في العلم حتى قال: " و لا تسمع بقول الفيلسوف لأنه لا يألو أن يتحمق و أن يغلو و يتعمق، إن إشتهاره بقوله الفج طوح به و راء كل فج..."[2]

تفقه على مذهب أبي حنيفة، و أحب هذا المذهب حتى قال فيه: " وتد الأرض بالأعلام المنيفة، كما وطد الحنيفية بعلوم أبي حنيفة و الأئمة الجلة الحنفية أزمة الملة الحنيفية"[3]، و قال: "الدين و العلم حنيفي و حنفي"[4]، و قال: " رضي الله عن العلماء الخاشعين لله و حسابه، جمعوا إلى الدين الحنيفي العلم الحنفي.. أولئك العلماء حق العلماء، و سائرهم كالغثاء يطفو على الماء.."[5]، و اهتم بعلم الكلام، مما صقل أسلوبه في الجدل و المناظرة، كذلك له إلمام واسع بعلم الحديث، لكنه كان ينتقد بعض الأحاديث بناءا على المعيار العقلي، و هذا يعكس تأثير الفكر المعتزلي عليه، كان الزمخشري ملما بالشعر و خاصة الجاهلي، فكان يوظف الشواهد الشعرية في تفسيره وكتبه النحوية بكثرة مما يدل على ثقافة أدبية رفيعة، أما ثقافته القرآنية، فقد عرف بتفسيره البلاغي العميق للقرآن الكريم، يركز فيه على الإعجاز البياني، هذا الذي جعل تفسيره مرجعا لدارسي القرآن و البلاغة، و الزمخشري له ثقافة جدلية و عقلية متأثرا بمذهب الإعتزالي و

[1] فاضل السمرائي، الدراسات النحوية و اللغوية عند الزمخشري، مطبعة الإرشاد 1390ه/1971م، ص14.

[2] الزمخشري، اطواق الذهب، المقالة الثالثة و العشرون 31/30.

[3] الزمخشري، محمود بن عمر الزمخشري، نوابغ الكلم، ط1، (1286ه) مطبعة واد النيل، القاهرة، ص8.

[4] نفس المرجع السابق.

[5] الزمخشري، أطواق الذهب، المقالة 42، ص53/52.

بالمنهج العقلي الذي عرفت به المدارس الكلامية، و على العموم فالزمخشري موسوعة ثقافية و علمية و خاصة في الجوانب اللغوية و البلاغية.

شيوخه:

أخذ الزمخشري عن عدة شيوخ أشهرهم: أبو مضر محمود ابن جرير الضبي الاصبهاني النحوي، كان كما يقول ياقوت: "يلقب بفريد العصر و كان وحيد دهره و أوانه في علم اللغة و النحو و الطب، يضرب به المثل في أنواع الفضائل، أقام بخوارزم مدة و انتفع الناس بعلومه و مكارم أخلاقه، و أخذوا عنه علما كثيرا، تخرج عليه جماعة من الأكابر في اللغة و النحو منهم الزمخشري، و هو الذي أدخل إلى خوارزم مذهب المعتزلة، و نشره بها فإجتمع عليه الخلق لجلالته، و تمذهبوا بمذهبه منهم الزمخشري[1]، و كان أبو مضر من أعظم شيوخ الزمخشري تأثيرا عليه، لما توفي رثاه الزمخشري، قال في بعض أبياته عنه:

ليبك الندى و العلم و الحلم و الحجى *** أبا مضر و لتبكه الهمة الكبرى

فذلك فريد العصر حقا فلن ترى *** عيونهم من بعده مثله حرا.[2]

و منهم أبو بكر عبد الله ابن طلحة ابن محمد ابن عبد الله اليابري الأندلسي، و هو نحوي أصولي و فقيه من أهل الأندلس، روى عن أبي الوليد الباجي، و قرأ عليه الزمخشري بمكة كتاب سيبويه، و شرح رسالة ابن أبي زيد، و رد على ابن حزم، مات سنة 518هـ.[3]

و من شيوخه أبو علي الحسن ابن المظفر النيسابوري، قال ياقوت: " الحسن ابن المظفر النيسابوري أبو علي أديب نبيل شاعر مصنف.. مات في الرابع عشر من شهر رمضان سنة 442هـ، و هو شيخ أبي القاسم الزمخشري قبل أبي مضر و له نظم و نثر".[4]

---

[1] ياقوت الحموي، أبو الفرج ياقوت ابن عبد الله الحموي (ت626هـ)، معجم الأدباء، ارشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ت: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1993م.ج 19، ص124/123.

[2] الزمخشري، ديوان الزمخشري، مخطوطة بدار الكتب المصرية، ورقة 56، ط1.

[3] جلال الدين السيوطي،(ت911هـ)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة، ت: أبو الفضل ابراهيم، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، ص284.

[4] المرجع السابق، 192/191/19.

و عموما أخذ الزمخشري عن كثير من العلماء، فما حل ببلدة إلا و اجتمع بعلمائها، و قصده و أخذ عنه طلابها و تلاميذها.

تلاميذه: من أشهر تلامذة الزمخشري:

-أبو الحسن علي ابن محمد ابن علي ابن أحمد ابن هارون العمراني الخوارزمي: قرأ على الزمخشري فصار أكبر أصحابه، سمع الحديث عن الزمخشري و هو مع علمه الغزير و فضله الكثير يعتبر علم في الدين و الصلاح و آية في الزهد، معتزلي المذهب، صنف في التفسير و اشتقاق الأسماء و المواضع و البلدان، مات نحو ستين و خمسمائة.[1]

-من تلاميذه: كذلك محمد ابن أبي القاسم البقالي الخوارزمي الآدمي النحوي الملقب "زين المشايخ"، قال ياقوت: " كان إماما في الأدب و حجة في لسان العرب، أخذ اللغة و الإعراب عن الزمخشري، و جلس بعده مكانه و سمع الحديث منه، و له من التصانيف: مفتاح التنزيل، و تقويم اللسان في النحو، الإعجاب في الإعراب، و البداية في المعاني و البيان و غير ذلك[2]، و تلاميذ الزمخشري كثيرون لا يحصرهم العد، له تلاميذ كثر، أعجبوا و تأثروا بمنهجه و أخذوا عنه حتى قال احدهم و هو يثني على شيخه الزمخشري و هو المعروف بالوطواط، قال في أحد رسائله له:

لقد حاز جار الله دام جماله فضائل فيها لا يشق غباره

تجدد رسم الفضل بعد إندراسه بآثار جار الله فالله جاره

و عموما فقد تأثر و أثر الزمخشري، تأثر بشيوخ صاغوا شخصيته العلمية و العقدية، و أثر في من تتلمذ عليه، فأخذوا عنه و نشروا مذهبه، كما أنه أثر في من جاء بعده من المفسرين و البلاغيين و النحويين من غير تلاميذه.

مكانة الزمخشري بين علماء التفسير و البلاغة:

يعد الزمخشري من أعظم المفسرين في التاريخ الإسلامي و تفسيره الكشاف يحتل مكانة خاصة عند علماء التفسير و البلاغة، جمع فيه بين التفسير العقلي و الكشف البلاغي، فكان تفسيرا

---

[1] ياقوت الحموي، أبو الفرج ياقوت بن عبد الله الحموي، (ت626ه)، معجم الأدباء،ارشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ت: إحسان عباس، دار الغرب الإسلايم بيروت، 1993م، 61/15، و بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة، لجلال الدين السيوطي (ت1911م)، ت: محمد أبو الفضل ابراهيم، المكتبة العصرية صيدا بيروت، 350-351.

[2] نفس المصدر السابق(معجم الأدباء) ، 5/19، 92.

لغويا بلاغيا بحق، مزجه بالبلاغة و قد قال عنه الإمام البيضاوي في مقدمة تفسيره: " و لما رأيت تفسير الزمخشري قد ملأ الدنيا، و شغل الناس لكثرة فوائده، و غزارة موارده، و كان القوم قد عكفو عليه... أحببت أن أعلقه و أحرره على منهج أهل السنة."[1]

و قال محمد حسن الذهبي عنه: " لو لم يخلف الزمخشري غير الكشاف لكفاه ذلك لتخليد اسمه، فقد أوضح فيه بلاغة القرآن، و أتى من دقائق الإعجاز ما يذهل العقول."[2]

أما مكانته بين علماء البلاغة: فيعد الزمخشري من أئمة البلاغة العربية، و كان كتابه "أساس البلاغة" من المعاجم البلاغية الرائدة، و مرجعا في بيان استخدامات الألفاظ العربية و أسرارها البيانية، قال الدكتور عبد العزيز حمودة: " الزمخشري هو أول من فتح الباب أمام تداخل علمي البلاغة و التفسير بصورة منهجية منظمة"[3]، و قال عنه ابن خلكان: "كان إماما في العربية، حافظا لأسرارها، متعمقا في دقائقها، لم ير مثله في زمانه"[4] و قد أسهم الزمخشري في تطوير البلاغة العربية بأسلوبه الفريد، إذ عرض الأمثلة البلاغية في إطار تفسير دقيق للألفاظ و التراكيب، و أثر في كل من جاء بعده مثل: البيضاوي و أبي حيان.

و قال عنه الإمام السيوطي: "الزمخشري في الكشاف أتى بعجائب من النكت البيانية، و المعاني الدقيقة لم يسبق إليها".[5]

و قال عنه الزركشي في البرهان: " الزمخشري أبرز المفسرين الذين مزجوا بين التفسير و البلاغة و أوضحوا إعجاز النظم القرآني".[6]

و قال عنه ابن خلكان: " كان إماما في علم التفسير، خاصة من جهة اللغة و المعاني."[7]

---

[1] البيضاوي، عبد الله بن عمر، أنوار التنزيل و أسرار التأويل، مقدمة الكتاب، ت: محمد عبد الرحمن المرعشلي، بيروت دار إحياء التراث العربي، ط1، (1418هـ/1997م)، ج1، ص5.

[2] محمد حسين الذهبي، التفسير و المفسرون، ج2/ ص163.

[3] عبد العزيز عودة، البلاغة الجديدة بين التخييل و التأويل، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 2003، ص87.

[4] ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج5/ ص174.

[5] السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج2/ ص184.

[6] بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ت: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية، 1957م، ج2/ ص160.

[7] ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3/ ص322. (مصدر سابق).

و في الأخير يمكن أن نعتبر الإمام الزمخشري موسوعة في اللغة و التفسير، حيث بلغ في البلاغة منزلة رفيعة حتى قيل: " من أراد التفسير فعليه بالكشاف، و من أراد البلاغة فعليه بالكشاف"[1] و هو من العبارات المتداولة في كتب التراث في الثناء على مكانة الزمخشري العلمية، فهو بحق نقطة تحول في مسار تفسير القرآن الكريم من حيث التركيز على النظم و الإعجاز البياني.

و مع هذه المكانة العلمية الرفيعة للزمخشري إلا أنه ينبغي الحذر من التأويلات العقائدية التي قد تخالف منهج أهل السنة، فقد حذر بعض العلماء من توجهه الاعتقادي الاعتزالي، يقول الإمام القرطبي: " و قد أكثر المفسرون من الاستشهاد بأقوال المعتزلة و الرد عليهم كأبي علي الجبائي و أبي هاشم و النظام و الزمخشري و غيرهم، و ما ذاك إلا لوقوعهم في مخالفة السنن."[2]

فمن أراد الاستفادة من الكشاف فإن ذلك يستوجب منه تمحيصا عقائديا لما قد يحويه من تأويلات مخالفة لمنهج أهل السنة.

المطلب الثاني: مؤلفات الإمام الزمخشري:

مؤلفات الإمام الزمخشري كثيرة، و في مجالات عدة، و خاصة في التفسير و النحو و البلاغة و اللغة، و فيما يلي نذكر أبرز مؤلفاته:

1- أساس البلاغة: و هو معجم لغوي و بلاغي، جمع فيه الزمخشري بين المادة اللغوية، و الاستخدام البلاغي للكلمات، و هو مرتب على أساس الحروف، أما أسلوبه فيه: فقد مزج فيه بين المعاني المجردة و التراكيب البلاغية و الاقتباسات الأدبية.

أهمية هذا الكتاب: يعتبر من أوسع معاجم اللغة استدلالا لدى البلاغيين و الأدباء.[3]

2-المفصل في صنعة الإعراب: و هو مرجع نحوي شامل، يعد من أهم كتب النحو، حيث يعرض القواعد النحوية بشكل مفصل.[4]

---

[1] الطاهر بن عاشور، (ت1393ه) التحرير و التنوير، تحرير المعنى السديد و تنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، الدار التونسية للنشر 1984م، ج1، ص34.

[2] القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي،الجامع لأحكام القرآن، ت: عبد الله ابن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة بيروت 2006، الجزء الأول من مقدمة التفسير.

[3] الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1998م، ص5.

[4] الزمخشري، المفصل في صنعة الإعراب، الناشر مكتبة الهلال، ط1/1998، المجلد الأول ص16.

3-الفائق في غريب الحديث و الأثر: و هو كتاب يشرح غريب الحديث، و يتناول الكلمات الغامضة في الأحاديث النبوية، مرتبة على حروف المعجم مما يسهل عملية البحث و ييسرها، و يعد هذا الكتاب من المصادر الأساسية لفهم الألفاظ الغريبة و المصطلحات غير المألوفة التي ترد في أحاديث النبي صلى الله عليه و سلم، و في الآثار المروية عن الصحابة و التابعين.

أهم ما يميز هذا الكتاب: الشرح اللغوي و التحليلي بحيث أن المؤلف لا يكتفي فيه بشرح المفردة بل يقدم أحيانا إشتقاقها و استخداماتها في السياقات المختلفة.

نزعته البلاغية: الزمخشري لغوي و مفسر بارع، فتظهر في شرحه ملامح بلاغية و نحوية عميقة.

اعتماده على مصادر سابقة: استند إلى كتب الغريب السابقة مثل كتب: أبي عبيد القاسم ابن سلام و ابن قتيبة و غيرهم، و هذا الكتاب يعد مرجعا رئيسيا في مجاله يستفيد منه المحدثون و اللغويون و الفقهاء.

4-ربيع الأبرار و نصوص الأخيار: و هو موسوعة أدبية فكرية اشتملت على أحاديث و أخبار و أمثال و حكم، و أقوال مأثورة من العرب و المسلمين و الأمم الأخرى، تناول فيه موضوعات متنوعة من الدين و الأخلاق و الفلسفة و الإجتماع، قال عنه صاحب معجم المؤلفين: " من الكتب الجامعة للأخبار و النوادر و الحكم و المواعظ بأسلوب أدبي فلسفي".[1]

5-المستقصى في أمثال العرب: و هو من أشهر كتب الأمثال العربية، جمع فيه الزمخشري المثل و بين معناه و سياقه، و رتبه على حروف المعجم، و استشهد بالشعر و اللغة، جاء في كشف الظنون: " كتاب الأمثال الموسوم "بالمستقصى" للزمخشري جمع فيه أمثال العرب و شرحها بأسلوب لغوي بلاغي.[2]

6-المقامات: مجموعة من المقامات العربية على نمط الحريري و الهمداني، تظهر براعة الزمخشري في السجع و المحسنات البديعية، و التعبير الفني، جاء ذكرها في معجم المؤلفين:"

[1] عمر رضا كحالة، معجم المألفين، دار احياء التراث العربي بيروت،ط1/1957، ج11، ص 54.

[2] حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون، دار الفكر بيروت، ط1، ج2/ ص1825.

للزمخشري مقامات أنشأها على أسلوب الحريري و هي أقل شهرة من الحريري، لكنها دالة على بيانه"[1]

7-أطواق الذهب في المواعظ و الخطب: موضوعه: خطب أدبية و مواعظ دينية، يحتوي على مجموعة من الخطب و المقالات في الزهد و الحكمة بأسلوب بلاغي متأنق، قال عنه صاحب المعجم: "أطواق الذهب مواعظ أدبية أنشأها الزمخشري على نسق الخطب المنبرية.[2]

8-النكت في تفسير كتاب الله العزيز: و هو تفسير موجز للقرآن الكريم اختصر فيه معاني التفسير و يظن أنه أسبق من "الكشاف" أو مشروع أولي له. قال عنه في كشف الظنون :"النكت في التفسير...للزمخشري هو مختصر في بيان وجوه المعاني .[3]

9-المقالات: و هو كتاب كلامي على مذهب المعتزلة يحتوي على مقالات كلامية تعبر عن رأي الزمخشري في التوحيد و العدل و الصفات و النبوة " للزمخشري كتاب في المقالات صرح فيه بمذهبه الاعتزالي".[4]

10-الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل : و أشهر مؤلفات الزمخشري الكتاب الذي نحن بصدد دراسة بعض جوانبه (منهجه البلاغي) فهو أشهر كتب التفسير البلاغي عند المعتزلة و هو من التفاسير التي جمعت بين التفسير من جهة اللغة و البلاغة و بين المنهج العقلي الذي تأثر فيه صاحبه بمذهبه الإعتزالي.

من أهم مميزات هذا الكتاب: العناية الفائقة بجماليات اللغة و الأسلوب، و الإلمام بالبلاغة و البيان، مما جعله مرجعا مهما في علوم البلاغة، و كذلك عرض أقوال المفسرين الذين سبقوه، مع الترجيح بينها حسب المنهج العقلي و اللغوي، كذلك من مميزاته كثرة استشهاده بالشعر العربي الجاهلي و العباسي لتوضيح المعاني أكثر، و قد أثنى على بلاغته الإمام القرطبي المتوفى سنة 671هـ فقال: " ما رأيت في معاني القرآن أحسن من كتاب الزمخشري، إن سلم من اعتزالياته، فتفسير الزمخشري فيه من الفوائد الجليلة و الفقرات اللطيفة ما لا **يوجد في غيره،**

---

[1] عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، دار احياء التراث العربي بيروت، ط1، 1957، ج11/ ص55.

[2] المرجع السابق، ج11 ، ص54.

[3] مرجع سابق، ج2، 1986.

[4] خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، ط15، 2002م، ج7، ص209.

إلا أنه كما قالوا: "يجب الجب ما قبله" فاعتزاله يفسد عليه علمه، و يذهب ماله من فضيلة"[1]. و يفهم من كلام القرطبي أنه يقر بقيمة "الكشاف" العلمية و خاصة من الجوانب البلاغية، إلا أنه يحذر من عقائد الزمخشري الإعتزالية.

المطلب الثالث: المنهج العلمي للزمخشري في مؤلفاته التفسيرية و اللغوية:

يعتبر الزمخشري من ابرز العلماء الذين جمعوا بين اللغة و التفسير و الكلام، و كان لمنهجه العلمي الأثر الكبير في تميز مؤلفاته و خاصة منها كتابه الكشاف، بحيث تميز بمنهج دقيق تحليلي ركز فيه على الجوانب اللغوية و البلاغية.

و من أبرز معالم منهجه العلمي في مؤلفاته:

1-الجمع بين العلوم في التفسير: بحيث اعتمد على المزج بين اللغة و البلاغة و أصول الاعتزال (في العقيدة) فلم يكن تفسيره تقليديا يعتمد على الرواية فحسب، بل أعمل العقل و اللسان و البيان، و قد تحدث الدكتور تمام حسان عن ذلك فقال: " الزمخشري من الذين نظروا إلى التفسير القرآني على أنه مجال لاستثمار طاقات علوم اللغة و البلاغة فجاء تفسيره الكشاف مثالا بارزا على التفسير التحليلي العقلي.[2]

2-الدقة النحوية و الصرامة اللغوية: اشتهر الزمخشري بلقب "جار الله النحوي" و كان شديد التمسك بآراء مدرسة البصرة و ظهر ذلك جليا في آرائه التفسيرية بحيث لا يكاد يخلو تفسيره من توجيهات نحوية دقيقة، و في هذا الإطار يقول الدكتور رمضان عبد التواب: " كان الزمخشري يحمّل النحو أكثر مما يحتمل أحيانا حرصا على سلامة التركيب القرآني، و إثبات إعجازه البياني، خاصة عند مخالفيه من النحويين أو المفسرين.[3]

3-المنهج البلاغي التحليلي: لم يكتف الإمام الزمخشري بالإشارة إلى البلاغة بل حلل وجوهها تحليلا عميقا من خلال علوم المعاني و البيان و البديع، مستعينا بمفاهيم الجرجاني و غيره. مثال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ رَبِّ إِرْجِعُونِ ﴾المؤمنون 99. قال " هو تعظيم للموقف و تهويل..

---

[1]القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، جامع لأحكام القرآن، ت: عبد الله ابن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة بيروت 2006، ج1، مقدمة التفسير.

[2]تمام حسن، البيان في روائع القرءان ص144.

[3]رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة و مناهج البحث اللغوي ص203.

ثم استخرج من ذلك أسلوب الالتفات، و التكثير البلاغي و التعبير عن شدة الموقف بالمبالغة اللفظية.[1]

4-المنهج العقلي في الطرح و التعليل: و هي عادة أهل الاعتزال، فكان الزمخشري يعتمد على العقل في توجيه المعاني و يقدم التأويلات التي تتماشى مع أصول مذهبه الاعتقادي مع الحرص على سلامة البيان، يقول ابن خلدون في مقدمته: " وكان تفسير الزمخشري مملوءا من علم البلاغة و المعاني، و هو أوضح ما وضح في هذا الفن، غير أنه مشحون بالإعتزال، و تفسيره مبني على ذلك"[2]

5-التوثيق و الاستشهاد بالشعر و اللغة: فقد أكثر في تفسيره الكشاف من الشواهد الشعرية و اللغوية، لتقوية رأيه النحوي أو البلاغي، و هذا ما يكشف عن موسوعية لغوية عالية، يقول الشيخ عبد الله دراز رحمه الله: " في الكشاف من شواهد اللغة و الأدب ما يجعله مرجعا لغويا و بلاغيا لا يقل قيمة عن كونه تفسيرا دينيا"[3] فمن خلال تتبع أسلوب الزمخشري و طريقته في تفسيره و كتبه اللغوية الأخرى (كالمفصل، و أساس البلاغة) نلاحظ منهجا علميا متكاملا أساسه التحليل اللغوي، و الاستدلال العقلي، و التحقيق البلاغي، و قد شكل هذا المنهج مرجعا مهما في التفسير البلاغي، رغم الانتقادات التي وجهت إليه بسبب خلفيته العقدية الاعتزالية.

[1] الزمخشري، الكشاف ج3، ص89.

[2] ابن خلدون، المقدمة، ص564.

[3] عبد الله دراز، النبأ العظيم، ص33.

الفصل الثاني:

قراءة في كتاب

(الكشاف للزمخشري)

المبحث الأول: التعريف بكتاب الكشاف

المبحث الثاني: المنهج العام للزمخشري

المبحث الثالث: الدراسة البلاغية عند الزمخشري

المبحث الأول: التعريف بكتاب الكشاف

المطلب الأول: التعريف بالكشاف

المطلب الثاني: دراسة الجانب البلاغي في تفسير الكشاف

المطلب الثالث: من تطبيقات المباحث البلاغية

الفصل الثاني: قراءة في كتاب (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري).

تعد القراءة العلمية المنظمة من أهم الآليات التي يعتمد عليها الباحث في تطوير معارفه و توسيع آفاقه الفكرية و المنهجية، حيث تمكنه من اكتساب مهارات التحليل و المقارنة و النقد، و يذهب كثير من الدارسين إلى اعتبار القراءة الجادة حجر الزاوية في التكوين الأكاديمي، لما تتيحه من تراكم معرفي يسهم في بلورة الشخصية العلمية للطالب، و يمنحه أدوات النظر المنهجي السليم، و قد أشار الباحث المغربي عبد الفتاح كيليطو إلى هذه الأهمية حيث قال: " لا يمكن أن يصبح المرء كاتبا أو باحثا، ما لم يكن قارئا جيدا، فالقراءة شرط سابق لكل إنتاج علمي أو أدبي"[1] من هذا المنطلق تأتي هذه القراءة في كتاب الكشاف للزمخشري، بوصفه واحدا من المؤلفات الكبرى في مجال التفسير و البلاغة، في محاولة للوقوف على منهجه البلاغي و اللغوي عموما في تفسيره، كما تهدف هذه القراءة إلى الوقوف على ملامح هذا التفسير من خلال عرض بنيته و مضامينه و تحليل منهجه و موقعه بين التفاسير، و خاصة اللغوية و البلاغية منها.

المبحث الأول: التعريف بكتاب الكشاف: المبحث يعرف بهذا الكتاب "الكشاف" و يقوم بدراسة تحليلية حوله (المنهج البلاغي) و تطبيقاته حول المباحث البلاغية في الكشاف.

المطلب الأول: التعريف بكتاب الكشاف للزمخشري: يعد كتاب الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل للإمام الزمخشري (ت538هـ) من أعظم التفاسير، و من أكثرها أثرا في مسار الدراسات القرءانية و البلاغية، و قد تميز هذا التفسير بجمعه بين علم البيان القرءاني و النحو العربي، كما اشتهر بميله العقائدي إلى المنهج الاعتزالي مما جعله موضع مدح و نقد على حد سواء، ألفه الزمخشري في مكة بجوار بيت الله الحرام حيث كان مجاورا فيه و قد بدأ في تأليفه سنة 526هـ، و قد ألفه في آخر حياته فيما بين الستين و السبعين من عمره و هو ما عبر عنه في مقدمته "و ناهزت العشر التي سمتها العرب دقات الرقاب".[2]

---

[1] كيليطو عبد الفتاح، الغائب، الدار البيضاء، دار توبقال للنشر، ط2، 1997، ص15.

[2] الزمخشري، مقدمة الكشاف، 18/1.

و معنى ذلك أنه ألفه بعد ما تكاملت علومه، و نضجت مواهبه، و صار مرجعا معتبرا لدى جماعته المعتزلة، كما أنه ألفه و هو في هناء و راحة بال و نعومة حال، حيث صنفه و هو مجاور مكة[1] ففي جوار بيت الله الحرام ألف الإمام الزمخشري كتابه الكشاف.

يتميز هذا الكتاب بتركيزه الشديد على الإعجاز البلاغي للقرءان الكريم، كما أنه يعتبر من كتب التفسير بالرأي إذ يعتمد فيه مؤلفه على العقل و التحليل اللغوي أكثر من الرواية، مع إيراده أحيانا لأقوال المفسرين السابقين، و هو تفسير معتزلي النزعة، تتجلى فيه بعض آرائه الكلامية، مما جعل بعض العلماء ينتقدونه و يحذرون من آراءه رغم إشادتهم بعلمه و بلاغته، و قد حظي هذا الكتاب باهتمام كبير عند العلماء و خاصة المفسرين منهم و البلاغيين و الكشاف هو تفسير يركز خاصة على البيان و البلاغة، فيشرح الصور الفنية و أوجه الإعجاز البياني في القرآن الكريم، كما يعتمد على التحليل النحوي، و يظهر ذلك في كثرة تعليقات صاحبه على الإعراب و دلالته المعنوية كما يركز فيه على المسائل الكلامية، و الاستدلال العقلي خاصة التي يختلف فيها المعتزلة عن أهل السنة، و هي من المآخذ على هذا الكتاب.

و قد ذكر في بداية كشافه الدوافع التي دعته إلى تأليفه، فبين أن بعض إخوانه في المذهب الاعتزالي، اجتمعوا إليه و سألوه أن يملي عليهم الكشف عن حقائق التنزيل و استشفعوا عليه بكل عظيم، إلى أن رحل إلى مكة، و هو مع كل هذا ليستعفي، حتى قابل الأمير الشريف أبا الحسن بن وهاس، و صادف منه رغبة كرغبة من سأله الإقدام فلم يمكن إلا الإذعان و تلبية أمر الإمام، و لقد أنهى تفسيره – كما يقول – في مقدار مدة خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه.[2]

إن تفسير الكشاف من أهم كتب التفسير و أشهرها، خاصة انه ألف في قالب فريد من نوعه، نظرا لتضافر جملة من العوامل اللغوية و البلاغية و الدينية على حد سواء[3]، و الكشاف تفسير جليل يشهد لصاحبه بالإلمام بعلوم شتى، و هو تفسير المعتزلة الأول، و عليه اعتمادهم،و صاحبه

[1] الدكتور عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر، تفسير الكشاف بين التحليل و التأويل، ص83.

[2] أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف تحقيق أحمد عبد الموجود، مكتبة العبيكان، الرياض، 1998، ص19، ج1.

[3] السيوطي، طبقات المفسرين، دار الكتب العلمية بيروت، ص105/104.

من متأخري المعتزلة الثقات المخلصين في عقيدتهم[1]، و هو خير مرجع لمن يريد التعرف على فكر المعتزلة، و على فهمهم للآيات، و قد ذكر صاحب التفسير و المفسرون متحدثا عن الكشاف " تفسير لم يسبق مؤلفه إليه، لما أبان فيه من وجوه الإعجاز في آيات القرآن، و لما أظهر فيه من جمال النظم القرآني وبلاغته، و ليس كالزمخشري من يستطيع أن يكشف لنا عن جمال القرآن و سحر بلاغته، لما برع فيه من المعرفة بكثير من العلوم، لا سيما ما برز فيه من الإلمام بلغة العرب و المعرفة بأشعارهم، و ما امتاز به من الإحاطة بعلوم البلاغة و البيان و الإعراب و الأدب[2]، و يعتبر الكشاف من اكبر كتب المعتزلة التفسيرية الموجودة و رائدا في ذلك الاتجاه، و خلاصة دقيقة لأهم تفاسير المعتزلة لأن تفاسير المعتزلة الأخرى لم تصل إلينا، و قد بلغنا منها النزر اليسير و هي موجودة في بطون كتب أخرى[3]، فالكشاف تفسير شامل لجميع آي القرآن الكريم، و قد اثنوا عليه في هذا الناحية، ناحية البلاغة و الفصاحة و اللغة، و قد قدم الزمخشري لتفسيره بمقدمة مختصرة جدا ذكر فيها أهمية علم التفسير و تفاوت الناس فيها، و حدد الشروط التي لا بد منها لمن يفسر كلام الله[4]، و لما فرغ الزمخشري من تفسيره أطلق عليه اسما دالا على منهجه و طبيعته، و هو " الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل" و قد أعجب أيما إعجابا بتفسيره فمدحه ببيتين عجيبين ذكرناهما سابقا فقال:

إن التفاسير في الدنيا بلا عدد و ليس فيها لعمري مثل كشافي

إن كنت تبغي الهدى فالزم قراءته فالجهل كالداء و الكشاف كالشافي

حتى في بيتيه يستخدم فن (الجناس)، و الزمخشري موهوب في استخدام هذا الفن، و الكشاف مبالغة من الكشف عن لطائف القرآن البيانية و البلاغية، و هو يريد من كشافه أن يكشف المعاني البعيدة و الحقائق الغامضة لا المعاني الظاهرة، و هو ظاهر من عنوانه "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل" و هو في كشافه هذا يذكر عيون الأقاويل و يختار أفضل و أنفس تلك

---

[1] الدكتور عبد الحميد السيد، دراسات في الليسانيات العربية، دار الحامد، ط1، الأردن 2004، ص136.

[2] الدكتور محمد حسين الذهبي، التفسير و المفسرون، ج1/432.

[3] الداوودي، شمس الدين محمد بن علي (ت945ه)، طبقات المفسرين،ت: علي محمد عمر، القاهرة مكتبة وهبة، 1392ه/1972م، ج1، ص 262.

[4] الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، دار القلم دمشق، ص538.

الأقوال، المتعلقة بوجوه تأويل القرآن "في وجوه التأويل" لهذا صار تفسير الزمخشري عمدة التفاسير البيانية رغم ما فيه من اعتزاليات، و قد اعتمد على تفسير الكشاف الكثير من المفسرين الذين جاؤوا بعده، و أخذوا منه و خاصة في جانبه البلاغي و اللغوي و البياني، و ردوا عليه فيما يخص بعض تأويلاته التي تتفق مع مذهبه الاعتزالي[1]، و قد كان أثر الكشاف واضحا في التفاسير التالية:

-تفسير مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي حيث أخذ من الكشاف بعض توجيهاته البيانية و لطائفه البلاغية مع رفضه لانحرافه العقدي الإعتزالي.

-تفسير غرائب القرآن و رغائب الفرقان للقمي النيسابوري حيث جمع بين الكشاف للزمخشري و مفاتيح الغيب للرازي، و اخذ أجود ما فيهما و أضاف لهما بعض ما عنده، فخلاصة تفسير الكشاف موجودة في تفسير القمي النيسابوري.

-تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: أشاد كثيرا بتفسير الزمخشري و ابن عطية، و اعتبر تفسيريهما – الكشاف و المحرر الوجيز – أفضل التفاسير على الإطلاق.

-تفسير أنوار التنزيل و أسرار التأويل للقاضي ناصر الدين البيضاوي: و قد جعل هدفه اختصار الكشاف، و إبعاد الاعتزاليات عنه و الإبقاء على تحليلاته و توجيهاته البيانية و البلاغية.[2]

بالإضافة إلى تفاسير أخرى، كتفسير "روح المعاني للآلوسي"، "و محاسن التأويل للقاسمي" " و المنار للشيخ رشيد رضا" و غيرهم.

و قد وضعت عليه حواش من علماء أهل السنة و من أشهرها و أهمها:

-حاشية "فتوح الغيب في الكف عن قناع الريب" لشرف الدين الحسن ابن محمد الطيبي و هي أشهر و أفضل الحواشي على الكشاف، تكفل صاحبها بالرد على اعتزاليات الزمخشري.

-حاشية "الانتصاف من الكشاف" للقاضي أحمد ابن محمد ابن المنير المالكي الإسكندري: تابع فيه اعتزاليات الزمخشري، و فند أقواله، و ناقشه مناقشة حادة، و بين تحريفه لمعاني الآيات لتوافق مذهبه، كما كان ابن المنير يشيد بالزمخشري عندما يقدم تحليلا بيانيا عاليا.

---

[1] الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، دار القلم دمشق ، ص542.

[2] نفس المصدر السابق، ص542-543.

-حاشية "مشاهد الانصاف على شواهد الكشاف" للشيخ محمد عليان المرزوقي: بين فيها اعتزاليات الزمخشري و شرح معاني بعض الكلمات الغريبة بمنتهى الايجاز و الاختصار و الأدب و التوقير، و ما كثرة الحواشي على تفسير الكشاف إلا دليل على منزلته عند العلماء من المفسرين و البلاغيين و اللغويين[1]، و هذا ما يدل على جلالة و ريادة هذا التفسير، و لا يعيبه إلا اعتزاليات صاحبه و انتصاره لمذهبه العقدي.

أما فيما عدا ذلك فهو تفسير جليل و هو من أحسن التفاسير إن لم يكن أحسنها فيما يخص اتجاهه البلاغي و اللغوي و البياني، و ذلك لما قدمه من تحليلات و لطائف رفيعة، فهو بحق تفسير في هذا المجال.

مصادر تفسير الكشاف: يبدو أن الزمخشري قد اطلع على جميع ما جاء في التفاسير قبله، و وعاها، كما أنه روى الحديث و أتقنه، و أحاط بالمسائل الفقهية، و بالخلاف فيها، كما أنه ملم إلماما واسعا بالقراءات و الفروق بينها، كما يبدو انه ملم بالشعر، بالإضافة إلى كونه لغويا مقتدرا يحسن فن الجدال، كما أنه متذوق جمال النص القرءاني.

-و قد اعتمد في تفسيره على الكتب اللغوية و خاصة كتب المعتزلة، فمن أهم مصادره في التفسير:

-تفسير مجاهد المتوفى سنة 104ه

-تفسير عمرو بن عبيد المعتزلي المتوفى سنة 144ه، فهو ينقل عنه قراءات و تفاسير.[2]

-تفسير أبي بكر الأصم المعتزلي، و الزمخشري يروي عن الأصم و يرد عليه.[3]

-تفسير الزجاج المتوفى سنة 311ه، و قد أفاد الزمخشري من هذا التفسير شيئين: أولهما: التفسير اللغوي للقرآن، و ثانيهما: مجمل التفسير النقلي الذي صنفه الزجاج و هذا هو البيان[4]، فالزمخشري يعتمد على هذا التفسير اللغوي و غيره من التفاسير و خاصة في هذا المجال، و من

---

[1] صالح عبد الفتاح الخالدي، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، دار القلم دمشق، ص544.

[2] الزمخشري، الكشاف، ج2، ص83 و موضع أخر.

[3] نفس المصدر، ج1، ص557.

[4] الزجاج، أبو اسحاق الزجاج، (ت311ه)، معاني القرآن و إعرابه، ت: عبد الجليل عبدو شلبي، بيروت، عالم الكتب، (1408ه/1988م)،ط1، ج1، ص19.

التفاسير التي تأثر بها الزمخشري: تفسير الرماني المتوفى سنة 384هـ و المسمى " بالتفسير الكبير للرماني" و هذا التفسير لم يبق منه إلا جزء عم بالمكتبة التيمورية[1]، هذه بعض مصادر تفسير الزمخشري الكشاف و الذي اعتمد عليها في تفسيره.

قيمة الكشاف العلمية: الكشاف تفسير لم يسبق مؤلفه إليه، لما أبان فيه من وجوه الإعجاز، و لما أظهر فيه من جمال النظم القرآني، و الإلمام بلغة العرب، و المعرفة بأشعارهم، و ما امتاز به من الإحاطة بعلوم البلاغة و البيان و الإعراب و الأدب، فالزمخشري جمع كل هذه الوسائل ليخرج للناس هذا التفسير العظيم، و قد علق كثير من العلماء على الكشاف، يقول الشيخ حيدر الهروي: " فإن كتاب الكشاف كتاب علي القدر، رفيع الشأن، لم ير مثله في تصانيف الأولين، و لم ير شبيهه في تصانيف الآخرين.[2]

و قد ذكر كثير من العلماء "الكشاف" منهم من أثنى عليه و منهم من انتقده و حذر منه.

قال فيه ابن خلدون: " و من أحسن ما اشتمل عليه هذا الفن من التفاسير كتاب الكشاف للزمخشري من أهل خوارزم العراق، إلا أنه مؤلفه من أهل الاعتزال في العقائد".[3]

كما ذكره التاج السبكي، فقال فيه: " و اعلم أن الكشاف كتاب عظيم في بابه، و مصنفه إمام في فنه، إلا أنه رجل مبتدع، متاجر ببدعته، يضع من قدر النبوة كثيرا، و يسيء أدبه على أهل السنة و الجماعة.[4]

و قال عنه الإمام الذهبي: "محمود بن عمر الزمخشري المفسر النحوي صالح لكنه داعية إلى الاعتزال أجارنا الله فكن حذرا من كشافه".[5]

---

[1] الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى، (ت384هـ)، المكتبة التيمورية، دار الكتب المصرية، القاهرة، تاريخ النسخ:1096هـ، رقم:201،ص57.

[2] الذهبي، التفسير و المفسرون، ص308.

[3] ابن خلدون، عبد الرحمن، المقدمة، ت: علي عبد الواحد وافي، دار الفكر، بيروت 2001، ص491.

[4] الذهبي، التفسير و المفسرون، ص311.

[5] الذهبي، ميزان الاعتدال، 78/4.

و نقل ابن حجر عن الإمام أبي محمد ابن أبي حمزة في شرح البخاري له، قال: " ...و الناظر في الكشاف و إن كان عارفا بدسائسه فلا يحل له أن ينظر فيه لأنه لا يؤمن الغفلة، فتسبق إليه تلك الدسائس و هو لا يشعر".[1]

و قال ابن حجر: " و أما التفسير فقد أولع الناس به و بحثوا عليه و بينوا دسائسه، و أفردوها بالتصنيف، و من رسخت قدمه في السنة و قرأ طرفا من اختلاف المقالات انتفع بتفسيره، و لم يضره ما يخشى من دسائسه".[2]

و عموما فالكشاف كشف لنا بلاغة القرآن و سرها، و أبان لنا عن وجوه إعجازه، و أوضح لنا دقة المعنى الذي يفهم من التركيب اللفظي، كل هذا في قالب أدبي رائع، و وضوح إنشائي بديع، فصاحبه إمام للغة باقتدار إلا أن جانبه العقدي الإعتزالي هو ما يعاب عليه.

-نسبة الكشاف للزمخشري: الكشاف هو كتاب التفسير لصاحبه "جار الله الزمخشري" بإجماع و هو من أعظم كتب التفسير البلاغي، و هو مرجع بلاغي و تفسير مهم، لكنه يحتوي على بعض الآراء الإعتزالية، و قد ذكر كثير من العلماء ذلك، و تحدثوا عن هذه النسبة.

-قال الذهبي: " الإمام الكبير عالم العربية، صاحب التصانيف في التفسير و المعاني و اللغة.. من تصانيفه المشهورة: الكشاف عن حقائق التنزيل، و هو من أجود التفاسير، إلا أنه مشبع باعتزال."[3] و قال عنه ابن خلكان: "أشهر تصانيفه الكشاف في تفسير القرآن، و هو في غاية الحسن و التحقيق، كثير الفوائد."[4]

و أشار الزمخشري نفسه في مقدمته إلى نسبته إليه حيث قال: " و سميته الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل"[5]، فنسبة الكشاف لصاحبه الزمخشري لا شك فيها و هو أشهر ما كتب و ألف هذا الإمام.

---

[1] ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، ت: عبد الفتاح أبو غدة، ط3، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1416ه/1996م، ج4، ص15.

[2] نفس المصدر السابق، 4/6.

[3] الذهبي، سير أعلام النبلاء، 201/20.

[4] ابن خلكان، وفيات الأعيان (191/5).

[5] الزمخشري، مقدمة كتاب الكشاف، ج1.

المطلب الثاني: دراسة الجانب البلاغي في تفسير الكشاف :

هو من المواضيع الغنية و المثيرة للاهتمام، لأن هذا التفسير اشتهر بين جمعه بين التفسير و البلاغة بشكل فريد، و الزمخشري كان عالما لغويا بارعا، و قد أودع في تفسيره ذخيرة بلاغية ضخمة و هو يستخدم البلاغة لا لتزيين التفسير بل كأداة لفهم النص القرآني.

و القارئ لهذا التفسير يظهر له من أول وهلة أن المبدأ الغالب عليه في جهوده التفسيرية كان في تبيين ما في القرآن من الثروة البلاغية، و الذي يقرأ ما أورده الزمخشري عند تفسيره لكثير من الآيات من ضروب الاستعارات و المجازات و الأشكال البلاغية الأخرى، يرى أن الزمخشري يحرص كل الحرص على أن يبرز في حلة بديعة جمال أسلوبه، و كمال نظمه، فإذا تابعنا ما كتب الزمخشري في كتابه و ما اعتنى به من بلاغة و بيان نكاد نجزم أنه لا يوجد تفسير أوسع مجالا في جهوده في هذا الصدد من تفسير الزمخشري، و كشافه يعد بحق من أمهات كتب التفسير التي لم يقتصر على بيان المعاني الظاهرة للآيات، بل أولت عناية فائقة بالجانب البلاغي حيث مزج الزمخشري بين علوم اللغة و التفسير و البلاغة، فكان تفسيره من أبرز النماذج التطبيقية لنظريات علم المعاني و البيان.

-خلفية الزمخشري البلاغية: الزمخشري من كبار علماء اللغة و البلاغة و قد تجلت براعته في مؤلفاته اللغوية كـ "المفصل" و "الأنموذج"مما انعكس على أسلوبه التفسيري، و قد اتخذ من علوم المعاني و البيان مدخلا رئيسيا لتفسير الإعجاز القرآني، لذلك أقر الزمخشري أن ملاك الأمر كله في التفسير هو البراعة في علمين مختصين بالقرآن هما: علم المعاني و علم البيان، بهذين العلمين يتحقق المعنى، "و من أكبر ضروب اهتمام الثقافة الكتابية أن تبين كيف أن البلاغة يجب أن تعين على تحقيق المعنى و توضيحه".[1]

و قد ذكر الحوفي أن الزمخشري تناول في الكشاف مباحث: علم البيان، التشبيه، و التمثيل و الإستعارة و الكناية و المجاز، و مباحث علم المعاني: قصر و الفصل و الوصل و التوكيد و التقديم و التأخير، و الحذف و الذكر، و الالتفات، و التعبير بالمضارع عن الماضي و التعبير بالماضي عن

[1] بوجمعة شتوان، بلاغة النقد و علم الشعر في التراث النقدي، دار الأمل للطباعة و النشر و التوزيع، تيزي وزو، 2007، ص310.

المستقبل، و الجملتين الاسمية و الفعلية، و مباحث علم البديع: الجناس و الطباق، و تأكيد المدح بما يشبه الذم، و اللف و النشر[1]،و زاد الجويني مباحث أخر تناولها الزمخشري هي: اسم الإشارة، و اسم الموصول، و تقديم الخبر على المبتدأ و التأنيث و النسب، و التنكير، و الإضمار و اسم الفاعل، و حذف المفعول به، و البدل و النداء و أسلوب الإيجاز، و أسلوب التكرار و الاعتراض و الاستفهام[2]، و عموما يعد كشاف الزمخشري أهم كتب التفسير التي اهتمت بالجانب البلاغي في القرآن الكريم، و قد أبدى فيه الزمخشري جملة من وجوه الإعجاز في غير ما أية و أظهر فيه من جمال النظم القرآني و بلاغته شيئا كثيرا، و ذلك لما يتمتع به مؤلفه من براعة و إلمام بكثير من العلوم[3] و الزمخشري البلاغي هو الذي قسم البلاغة التقسيم الثلاثي المعروف: كعلم المعاني و البيان و البديع، و لم تكن معروفة بهذا التقسيم، و إنما تسمى البلاغة كلها بالبديع، كما هو عند ابن المعتز، أو بالبيان كما تراه عند عبد القاهر و علي بن خلف الكاتب، فجاء الزمخشري بالبلاغة العلمية التي تعني علوما ثلاثة، و مهما يكن من شيء فإن للزمخشري فضل الريادة في ذلك التقسيم، و لذلك تابعه جمهور البلاغين، و قد أحدث الكشاف حركة علمية في الساحة البلاغية، و صار له تأثير لا يدفع فيمن بعده، كالخطيب القزويني في تأليف كتابه المشهور "الايضاح في علوم البلاغة"، كما أنه من آثار الكشاف أنه كان دافعا ليحي ابن حمزة العلوي لتأليف كتابه الكبير "الطراز" و الذي يعد من مصادر البلاغة المهمة.[4]

و من الأمثلة على تحليلات الزمخشري البلاغية الذي تبين حذقه في الصناعة ما تراه عند قوله تعالى ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِالْهُدٰى فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ ﴾البقرة:16. قال: فإن قلت: هب أن شراء الضلالة بالهدى وقع مجازا في معنى الاستبدال، فما معنى ذكر الربح و التجارة كأن ثم مبايعة على الحقيقة؟ قلت: هذا من الصنعة البديعية التي تبلغ بالمجاز الذروة العليا، و هو أن تساق كلمة مساق المجاز، ثم تقفى بأشكال لها و أخوات إذا تلاحقن لم تر كلاما أحسن منه

---

[1]أحمد محمد الحوفي، الزمخشري (القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب ط2، 1980، ص201/200

[2]مصطفى الصاوي الجويني، منهج الزمخشري في تفسير القرآن و بيان اعجازه (القاهرة دار المعرفة، ط2، 1968، ص 234/220

[3]صالح بن غرم الله الغامدي، مسائل الاعتزالية في تفسير الكشاف للزمخشري في ضوء ما ورد في كتاب الانتصاف لابن المنير ،حائل دار الأندلس، ط1، 1418هـ، 1998م، ص49.

[4]عبد المحسن ابن عبد العزيز العسكر، تفسير الكشاف بين التحليل و التأويل، ص97.

ديباجة و أكثر ماء و رونقا و هذا المجاز المرشح[1]، ثم بسط في التمثيل و الاستشهاد. و يقول الزمخشري عند تحليله لأسلوب النداء (يا أيها) يقول: فإن قلت: لم كثر في كتاب الله النداء على هذه الطريقة ما لم يكثر في غيره؟ قلت: لاستقلاله بأوجه من التأكيد و أسباب من المبالغة، لأن كل ما نادى الله عباده من أوامره و نواهيه و عظاته و زواجره و وعده و وعيده، و اقتصاص أخبار الأمم الدارجة عليهم و غير ذلك مما أنطق به كتابه، أمور عظام و خطوب جسام، و معاني عليهم أن يتيقظوا لها و يميلوا بقلوبهم و بصائرهم إليها، و هم عنها غافلون، فاقتضت الحال أن ينادوا بالآكد الأبلغ[2] و من تحليلات الزمخشري حديثه عن بلاغة ضرب الأمثال يقول: "و لضرب العرب الأمثال، و استحضار العلماء المثل و النظائر شأن ليس بالخفي في إبراز خفيات المعاني، و رفع الأستار عن الحقائق، حتى تريك المتخيل في صورة المحقق، و المتوهم في معرض المتيقين و الغائب كأنه مشاهد و فيه تبكيت للخصم الألذ، و قمع لسورة الجامح الأبي، و لأمر ما أكثر الله في كتابه المبين و في سائر كتبه أمثاله، و فشت في كلام رسول الله صلى الله عليه و سلم و كلام الأنبياء و الحكماء[3]، و الحاصل أن للزمخشري تعبير بلاغي رائق في كشافه، و تحليل مطرب و هو كثير معجب، مصدق لما وصف به من الفصاحة و حسن التصرف في الكلام و جودة القريحة[4] و حتى ابن المنير الذي ألف كتابه الانتصاف لتعقب الزمخشري لم يستطع أن يكتم إعجابه بكتابات الزمخشري فقال مرة: "هذا كلام نفيس يستحق أن يكتب بذوب التبر لا بالحبر".[5]

المطلب الثالث: من تطبيقات المباحث البلاغية التي تناولها الزمخشري في الكشاف

1-التشبيه: و هو إلحاق أمر بأمر بأداة التشبيه الجامع بينها، و من الأمثلة على ذلك: في قوله تعالى (إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ كَأَنَّهُ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ) المرسلات 32-33.

فسره الزمخشري بقوله "بشرر كالقصر" أي كل شرره كالقصر من القصور في عظمها، و قيل هو الغليظ من الشجر، الواحده (قصرة) (كالقصر) بفتحتين و هي أعناق الإبل، أو أعناق النخل، نحو شجرة و شجر، و قرأ ابن مسعود كالقصر بمعنى القصور، كرهن و رهن، و قرأ سعيد بن جبير (كالقصر) ، شبهت بالقصور، ثم بالجمال، لبيان التشبيه، ألا تراهم يشبهون

[1] الزمخشري، الكشاف (1-147)

[2] نفس المرجع (174/1)

[3] نفس المرجع (149/1)

[4] ابن حجر، لسان الميزان (4/6) و السيوطي في بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة (279/2)

[5] ابن المنير، الانتصاف (406/2)

الإبل بالأفدان و المجادل، و قرئ (جمالات) بالضم، و هي قلوس الجسور، و قيل: قلوس سفن البحر، الواحدة جمالة، إن في التشبيه بالقصر، و هو الحصن – تشبيها من جهتين: من جهة العظم، و من جهة الطول في الهواء، و في التشبيه بالجمالات و هي القلوس–تشبيه من ثلاث جهات: من جهة الطول و العظم و الصفرة..[1]

2-الاستعارة: عرف الجاحظ الاستعارة: بأنها تسمية الشيء بإسم غيره إذ قام مقامه[2]، ففي قوله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ اَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ اَلنَّاسَ مِنَ اَلظُّلُمَٰتِ إِلَي اَلنُّورِ ﴾(ابراهيم:1) فسر الزمخشري هذه الآية فذكر الاستعارة كما سيأتي: الظلمات والنور: استعارتان للضلال و الهدى، (بإذن ربهم) بتسهيله و تفسيره، مستعار من الإذن الذي هو تسهيل للحجاب، و ذلك ما يمنحهم من اللطف و التوفيق (إلى صراط العزيز الحميد) بدل من قوله إلى النور بتكرير العامل، و يجوز أن يكون على وجه الاستئناف كأنه قيل إلى أي نور؟ فقيل: إلى صراط العزيز الحميد.[3]

3-الكناية: و هي أن تريد المعنى و تعبر عنه بغير لفظه،[4] ففي قوله تعالى: ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ اُلسَّمَٰوَٰتِ وَالاَرْضِۖ وَالذِينَ كَفَرُواْ بِأَيَٰتِ اِللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ اُلْخَٰسِرُونَۖ﴾الزمر 63، قال الزمخشري: " له مقاليد السماوات و الأرض، أي هو مالك أمرها و حافظها، و هو من باب الكناية لأن حافظ الخزائن و مدبر أمرها هو الذي يملك مقاليدها و منه قولهم: " فلان ألقيت إليه مقاليد الملك"، و هي مفاتيح، و لا واحد لها من لفظها، و قيل: مقليد.. و الكلمة أصلها فارسية، و قيل: سأل عثمان رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه و سلم عن تفسير قوله تعالى: " له مقاليد السماوات و الأرض فقال: " يا عثمان ما سألني عنها أحد قبلك"، تفسيرها: لا إله إلا الله، و الله أكبر، و سبحان الله و بحمده، و أستغفر الله، و لا حول و لا قوة إلا بالله، هو الأول و الآخر و الظاهر و الباطن، بيده الخير، يحيي و يميت و هو على كل شيء قدير" و تأويله على هذا أن لله هذه الكلمات يوحد بها و يمجد، و هي مفاتيح خير السماوات و الأرض، من تكلم بها من المتقين أصابه، و الذين كفروا بآيات الله و كلمات توحيده و تمجيده أولئك هم الخاسرون.[5]

---

[1]الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف (بيروت دار الكتاب العربي، ط3، 1407هـ، ج4، ص680).

[2]الجاحظ، البيان و التبيين، ج1، ص142.

[3]الزمخشري، الكشاف، ج2، ص537.

[4]انظر الحاشري، تسهيل البلاغة ص89.

[5]الزمخشري، الكشاف، ج،4 ص 140.

4-المجاز: أي اللفظ المستعمل في غير ما وضع له في اصطلاح التخاطب لعلاقة، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الوضعي، و العلاقة هي المناسبة بين المعنى الحقيقي و المعنى المجازي، قد تكون المشابهة بين المعنيين، و قد تكون غيرها[1]، و المجاز قسمان: عقلي و لغوي.

قال تعالى: " ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾" **ق 16.** و قد وضحه الزمخشري بقوله: " و نحن أقرب إليه" مجاز، و المراد قرب علمه منه، و انه يتعلق بمعلومه منه و من أحواله تعلقا لا يخفى عليه شيء من خفياته، فكأن ذاته قريبة منه، كما يقال: الله في كل مكان، و قد جل عن الأمكنة، و "حبل الوريد" مثل في فرط القرب، كقولهم: هو مني مقعد القابلة، و معقد الإزار، و قال ذو الرمة: " و الموت أدنى لي من الوريد"[2] **و في قوله تعالى:** ﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾**الإسراء52**. فسره الزمخشري فقال: (و الدعاء و الإستجابة كلاهما مجاز، و **المعنى**: يوم يبعثكم فتبعثون مطاوعين، منقادين، لا تمتنعون).[3]

و عموما تعد المباحث البلاغية من الركائز الأساسية في تفسير الكشاف للزمخشري، إذ يعنى هذا التفسير بالكشف عن أسرار البيان في القرآن الكريم، من خلال توظيف علوم البلاغة الثلاث: المعاني و البيان و البديع، فقد أولى الزمخشري عناية فائقة بأساليب التعبير القرآني، فكان يستخرج دقائق المعاني من ترتيب الكلمات و تقديم بعضها على بعض، كما برزت مهارته في علم البيان من خلال شرحه للإستعارات و التشبيهات و الكنايات مبينا أثرها في ترسيخ المعنى و تقوية الدلالة، و تدل هذه التطبيقات البلاغية في الكشاف على نظرة الزمخشري إلى البلاغة كأداة تفسيرية تجعل من القرآن نصا معجزا في لفظه و معناه، و تربط بين النص و السياق ربطا محكما يعكس فصاحة التنزيل و جمال بيانه.

---

[1] أحمد الهاشمي، (ت 1362ه)، جواهر البلاغة في المعاني و البيان و البديع، ت: علي محمد اسبر، (بيروت، دار الكتب العلمية، 2003م، ج1، ص251.

[2] الكشاف، ج4 ص383.

[3] المصدر السابق، ج2 / ص672.

المبحث الثاني: المنهج العام للزمخشري

المطلب الأول: منهج الزمخشري في تفسيره

المطلب الثاني: المنطلقات العامة لتفسير الزمخشري

المطلب الثالث: خصائص منهجه التفسيري

المبحث الثاني: المنهج العام للزمخشري في تفسيره:

المطلب الأول: منهج الزمخشري في تفسيره

الزمخشري نحوي معتزلي و بلاغي بارع، جمع بين علوم اللغة و البلاغة و الكلام و التفسير، و قد انعكست هذه الخلفية المتعددة على تفسيره الكشاف الذي جمع بين الدقة النحوية و التحليل و البلاغي و الطرح الاعتزالي للعقيدة، و قد جمع الزمخشري في تفسيره بين براعة لغوية فائقة و توجه عقلي اعتزالي واضح، و قد تميز بمنهج تفسيري خاص، ارتكز على جملة من الأسس العلمية و البلاغية، كان لها الأثر الكبير في صناعة التفسير و بيان الإعجاز القرآني[1]، و أول ما يلفت النظر في منهجه هو اعتماده الجوهري على اللغة العربية، فقد كان يرى أن الطريق إلى فهم القرآن لا يكون إلا بإحكام أدوات النحو و الصرف و البلاغة، فهو يحرص على تحليل التراكيب اللغوية للآيات و بيان أوجه الإعراب، و ربط ذلك بالدلالة المقصودة، فصار تفسيره مرجعا في النحو كما في التفسير، و إلى جانب النحو أولى الزمخشري عناية فائقة بالبلاغة، فهو ينظر إلى البلاغة كأداة تسبر أغوار المعاني، و تكشف أسرار النظم فاستثمر ذلك في تحليل الآيات و تجلية معانيها[2]، كما يظهر في تفسيره منهج عقلاني تأويلي مستمد من أصول عقيدة الاعتزال، و قد وظف الزمخشري أدوات علم الكلام و الجدل العقلي لدعم اختياراته التفسيرية، و كان يوازن بين الأقوال و يرجح من بينها ما يراه أوفق بالبلاغة القرآنية[3]، و يبدو أن منهج الزمخشري في تفسير الآيات واضح، إذ يبدأ عادة بتحليل لغوي نحوي، يعقبه تأمل بلاغي بياني، ثم يعرض أقوال المفسرين مع نقدها أو ترجيح إحداها، مع استحضار الشواهد الشعرية عند الحاجة، و يعد الزمخشري من أوائل من صرح بأن الإعجاز القرآني قائم على بلاغته و ليس في الأخبار أو المعجزات الحسية، و هو ما جعله يقف عند دقائق التعبير و جمالياته.[4]

---

[1] الزمخشري، الكشاف مقدمة التحقيق، دار الكتاب العربي، ط2، 2009.

[2] عبد القادر حسين، البلاغة في تفسير الزمخشري، دار الفكر بيروت 1995، 30/27.

[3] الطيبي شرف الدين الحسين ابن عبد الله (ت743ه) ، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية على الكشاف)، ت: عبد الحميد هنداوي بيروت، دار الكتب العلمية،ط1، 2007، ج1، ص10/9.

[4] يوسف عبد الله، أثر العقيدة في التفسير عند الزمخشري، مجلة جامعة الإمام، ع21، 1421ه، ص114.

لقد كان لهذا المنهج المركب أثر بالغ في الدراسات التفسيرية و البلاغية اللاحقة، حيث اعتمد عليه البلاغيون كالسكاك و الطيبي و التفتازاني، و أفاد منه المفسرون رغم تحفظهم على بعض توجهاته العقدية[1]، لقد تميز الكشاف بمكانة فريدة بوصفه تفسيرا بلاغيا عقلانيا رفيعا جمع بين عمق اللغة و دقة الفكر و روعة البيان، و يمكن تلخيص أسس المنهج التفسيري للزمخشري كالتالي:

-أسس المنهج التفسيري للزمخشري:

1-الإعتماد على اللغة أساسا للتفسير: فالزمخشري يرى أن فهم القرآن لا يتم إلا من خلال إحكام اللغة العربية

-استخدم النحو و الصرف في الكشف عن المعاني، و هو يرى أن الإعجاز القرآني متجذر في بيانه اللغوي.

- اعتمد بشكل كبير على التحليل النحوي للآيات، و أوضح أوجه الإعراب و بين أثرها في المعنى، مما جعله مرجعا لغويا إلى جانب كونه تفسيريا.

2-العناية بالبلاغة و البيان: فالبلاغة عند الزمخشري ليست زينة للمعنى فقط، بل هي من صلب الدلالة القرآنية.

-فسر الآيات من خلال أدوات البلاغة كالاستعارة و الكناية و المجاز و التقديم و التأخير و الالتفات و الايجاز و غير ذلك.

-اعتبر الزمخشري البلاغة وجها من وجوه الإعجاز و صرح بذلك في مقدمة كتابه الكشاف حين ذكر" و إنك لا تجدني في الكشاف أحقق هذا الغرض و أبلغه"[2]

3-التفسير العقلاني العقائدي الاعتزالي: باعتبار الزمخشري أحد رجال الاعتزال، وظف تفسيره لنصرة مذهبه كالقول بخلق القرآن و نفي الرؤية و غير ذلك و هو كثير ما يظهر ميله لمذهبه و

[1] السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، دار الفكر، ج2، ص180، يراجع موقف البيضاوي في أنوار التنزيل.

[2] الزمخشري، محمود بن عمر الخوارزمي جار الله، (ت 538ه)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل، ت: عادل عبد الموجود، مكتبة العابيكان، الرياض، ط1، (1418ه/1998م)، ج1، ص95.

الدفاع عنه، و هذا أثار ضده انتقادات لاذعة من كثير من علماء أهل السنة، و ألف بعضهم كتبا في انتقاده و الرد عليه و أحيانا التحذير منهم مثل البيضاوي و الطيبي و ابن المنير و غيرهم.

4-استخدام أدوات الجدل و الكلام: فالزمخشري يميل في كثير من المواضع إلى الجدل العقلي على عادة المتكلمين، كما أنه يعرض الآراء المختلفة ثم يزنها من منطق عقلاني في الغالب على ضوء فكر الاعتزال.

5-الترجيح بين الأقوال: فلم يكن الزمخشري ناقلا للآراء فحسب، بل كان منتقدا للأقوال و الآراء و مرجحا، يفاضل بينها بحسب قوتها من الناحية اللغوية و البلاغية و أحيانا من الناحية الكلامية الاعتقادية و ليس من الناحية الفقهية فقط، كما أنه يرفض كثيرا من التأويلات و يصفها على أنها بعيدة عن البلاغة.

6-التركيز على الإعجاز البياني: يرى أن إعجاز القرآن بياني بلاغي على خلاف بعض المفسرين الذي يركز على الإخبار بالغيب أو التحدي الغيبي.

-يحلل وجوه الإعجاز من خلال التناسق الأسلوبي و اختيار المفردات و تراكيب الجمل.

7-الاستشهاد بالشعر العربي: فالزمخشري شاعر مبدع يحفظ أشعار العرب في الجاهلية و الإسلام حتى أنه قد يورد في تفسيره ثلاثة شواهد في الموضع الواحد ليجعلها شاهدا على معنى كلمة قرآنية.

8-التقليل من التفسير بالمأثور: فهذا المنهج يخالف منهج التفسير بالمأثور لأن الكشاف عماده التفسير بالرأي و العقل لا القرآن الكريم أو السنة النبوية، و لا يعني هذا أن الزمخشري لم يستدل بالمأثور، إنما استخدمه في بعض المواضع، و يلاحظ أن الزمخشري ساق في تفسيره كثيرا من الأحاديث الضعيفة و أحيانا الموضوعة، قال الزرقاني عن مميزات الكشاف: " إنه أقل من الإسرائليات، و نهج أسلوب الاختصار، و أحسن في الشرح اللغوي، و عني بالمسائل البلاغية، و اتبع أسلوب السؤال و الجواب[1]، و لماذا غلب هذا المنهج البياني البلاغي في تفسير الكشاف؟ و الإجابة: أن المعتزلة في عمومهم عنوا بدراسة اللغة و الأدب للتعمق في أسرار النصوص الدينية و

[1] محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن (القاهرة:مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط3،د.ت،ج2، ص70)

الانتصار في مجادلاتهم أهل العقائد الأخرى، و كذلك من خالفهم من المسلمين، فكتب كثير منهم عن الإعجاز البلاغي و وجوهه مثل: الجاحظ و الرماني و كذا الزمخشري و غيرهم.[1]

و خلاصة المنهج التفسيري للزمخشري هو اعتماده على العقل فهو يوفق بين معنى الآيات و الاستنتاج العقلي، كما أن سيمة منهجه الاعتقادي الاعتزالي تظهر على منهجه التفسيري، فهو إن صح القول ملتزم بمبادئ الاعتزال، كما أنه يعبر عن ذلك كله بأسلوب بياني بلاغي رائع، فقد جمع الزمخشري في تفسيره بين البلاغة و العقل و الاعتقاد، فمنهجه في تفسيره هو منهج بلاغي نحوي لغوي عقلاني معتزلي.

خصائص منهج الزمخشري العملية في الكشاف:

-يبدأ غاليا بقراءة لغوية نحوية للآية، ثم ينتقل بعدها إلى التحليل البلاغي.

-يعقب ذلك بذكر الأقوال التفسيرية و اختيار أحدها أو نقدها.

-يورد أحيانا الشواهد الشعرية لدعم تحليله النحوي أو البلاغي.

-يحرص على إبراز جماليات التعبير القرآني و خاصة في الآيات القصيرة المؤثرة.

اثر هذا المنهج على مكانة الكشاف: جعله مرجعا في البلاغة القرآنية عند البلاغيين المتأخرين.

-صار معتمدا لدى المفسرين رغم تحفظاتهم على بعض آرائه الإعتزالية

-أثر في مؤلفات لاحقة مثل: مؤلفات السكاكي و الطيبي و البيضاوي و غيرهم.

و ختاما إن المنهج العام للزمخشري في تفسيره الكشاف يقوم على مزج متوازن بين التحليل اللغوي و البلاغي و العقلي، و يظهر فيه عمق إيمانه بأن بلاغة القرآن هي أعظم دلائل إعجازه، و إن فهم القرآن لا يستقيم إلا بفهم لغته و نظمه و أسلوبه، و هذا ما جعل الكشاف كتابا بلاغيا بامتياز قبل أن يكون مجرد تفسير من التفاسير.

المطلب الثاني: المنطلقات العامة لتفسير الزمخشري:

تفسير الكشاف لم يكن عملا تفسيريا تقليديا، بل جاء محملا برؤية منهجية متكاملة تمزج بين البلاغة و اللغة و العقل و هي منطلقات أساسية، توجه بماء الزمخشري في تعامله مع النص القرآني، و يمكن الوقوف على أبرز هذه المنطلقات:

[1] أحمد محمد الحوفي، الزمخشري ، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1980، ص201/200

أولا: التفسير من منظور اعتزالي عقلاني: ينتمي الزمخشري كما أسلفت إلى مدرسة اعتزالية عرفت بتقديمها العقل على النص القرآني عند التعارض، و تأكيدها على خمسة أصول رئيسية و هي: التوحيد و العدل، المنزلة بين المنزلتين، الوعد و الوعيد و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر[1] و قد انعكست هذه الأصول على تفسيره خصوصا في المسائل العقدية، حيث يحرص على تأويل الصفات الخبرية تأويلا مجازيا يتناسب مع مذهب التنزيه، مثال ذلك تفسير قوله تعالى﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾طه5. إذ يقول الاستواء بمعنى الاستلاء كمال قال الشاعر: قد استوى بشر على العراق ... من غير سيف و دم مهراق[2] و هو تأويل معتزلي مشهور يرمي إلى نفي التشبيه و التجسيم، و هي طريقته في غالب الصفات الإلهية.

ثانيا: تغليب الجانب البلاغي في الكشف عن المعنى: ينطلق الزمخشري من قاعدة أن فهم القرآن لا يمكن أن يكتمل دون الوقوف على أسرار نضمه و بلاغته، لذا كان التفسير عنده وسيلة لبيان وجوه الإعجاز البياني، لا مجرد شرح لغوي، أو نقل روائي، و قد نص على ذلك في مقدمة كشافه "وجعلت علم البيان عدتي و عمدتي، عليه أتكل، و إليه أتحول، في تحقيق معاني التنزيل..."[3] و هذا يعد تأسيسا لمنهج صريح بأن التفسير خاضع لسلطة البلاغة باعتبارها أداة الكشف عن الإعجاز القرآني، و قد أكد الزركشي هذا التوجه بقوله: "الزمخشري أكثر من التفسير البلاغي، و جعل وجه الإعجاز في القرآن راجعا إلى النظم و التأليف"[4]

ثالثا: التزامه باللسان العربي الفصيح: لقد نزل القرآن بلسان عربي مبين، و هذا ما جعل الزمخشري يلتزم في تفسيره بالقواعد المستنبطة من كلام العرب نثرا و شعرا و قد صرح بذلك بقوله: " واتبع في تفسيره مقاييس العربية، و اسلك به طرق البلغاء"[5] و لذلك كان كثيرا ما يستشهد بأشعار العرب و أمثالهم لتقرير دلالة لغوية أو بلاغية، و يعتبر أن الرجوع إلى كلام العرب هو الميل الوحيد لفهم دقيق لمعاني القرآن، و هو ما يعرف بالتفسير البياني، الذي يراعي السياق و السبك و الاختيار الأسلوبي.

---

[1] عبد الجبار بن أحمد، شرح الأصول الخمسة، تحقيق: عبد الكريم عثمان، دار الأنصار، ص42.

[2] الزمخشري، الكشاف، ج3 ص112.

[3] المصدر نفسه، 12، ص3.

[4] الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ح2، ص163.

[5] الزمخشري، الكشاف، ج1، ص3

رابعا: النزعة التعليمية التوجيهية: الكشاف لم يكن تفسيرا موجها للعامة، بقدر ما هو موجه إلى طلبة العلم و المتخصصين، و يتضح ذلك من مستوى التحليل النحوي و الدقة البلاغية، في العرض، و مع ذلك حافظ الزمخشري على أسلوبه البياني الجذاب الذي يجمع بين الإقناع العقلي، و المتعة الأسلوبية، كما يتجنب الإطالة المملة، ذكر ذلك في مقدمته "فأعددت فيه من لطائف التفسير، و بدائع التأويل، ما لا تجد في كتاب، و إن بلغت ما بلغت في الحسن و الإتقان"[1]

خامسا:الاعتماد على العقل و الجدل في مواجهة الخصوم: لقد أبرز الزمخشري في تفسيره جدلا واضحا خاصة في مسائل العقيدة التي يخالف فيها أهل السنة، حيث لا يكتفي الزمخشري بعرض رأيه، بل يرد على المخالفين بأسلوب تهكمي ساخر أحيانا، و هذا الأسلوب يجمع بين الحجج العقلية و البلاغية و يعكس تأثره الشديد بمنهج المتكلمين في المناظرة، مثال على ذلك: ما قاله في تفسير قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ اِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾سورة القيامة23/22. حيث أنكر رؤية الله يوم القيامة على مذهب المعتزلة، و فسر "ناظرة" بمعنى: منتظرة للثواب، ثم قال: عن قول من فسرها بالرؤية: " و يلزمهم أن تكون في مقابلة "وجوه يومئذ باسرة"، وجوه تنتظر و أخرى لا ترى و هذا مما لا يقول بها عاقل[2]، و نستشف من خلال عرض منطلقات الزمخشري في التفسير: أنه لا ينظر إلى النص القرآني كمادة لغوية فقط، بل كمجال متكامل يستدعي الفهم البلاغي و الوعي العقلي، و الاستحضار الجدلي، و قد تميز عن كثير من المفسرين بالتأسيس الواضح لمنهج بلاغي عقلي جعله مرجعا لمن جاء بعده على الرغم من الانتقادات الموجهة إليه من جهة العقيدة.

[1] الزمخشري، الكشاف، ج1، ص4.

[2] نفس المصدر السابق، ج4، ص768

المطلب الثالث: خصائص منهجه التفسيري

تميز تفسير الكشاف للزمخشري بخصائص جعلته من أعلام التفسير، فقد جمع بين العمق البلاغي و الدقة النحوية، و الجدل العقلي، و حرص على تحليل النص القرآني بما يوافق قواعد اللغة العربية و علومها و فيما يلي: عرض لأهم هذه الخصائص:

أولا: التحليل البلاغي و البياني للنص القرآني:

أولى الزمخشري عناية بالغة بالجوانب البلاغية للنص القرآني حتى صار تفسيرا مرجعيا في دراسة هذا البيان، و استشهد به في كتب البلاغة كدلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، فهو يرى أن سر الإعجاز يمكن في نظم القرآن، أي طريقة تأليف الكلام و تراكيبه، و قد ذكر في مقدمة تفسيره: " قد ضمنته من علم البيان ما إن وقفت عليه عرفت أنه هو الشريف إذا تلي و أن له رواءٌ و حسنٌ إذا حكي"[1] و مثاله على تحليله البلاغي، تفسير لقوله تعالى:﴿ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعاً فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعاً ﴾العاديات 5/4 . حيث قال: (فأثرن به نقعا، فحركن بالغبار فيه التفات إلى أثر الجياد، كأنك تراه بعينك، فهده صورة مشهدية و الانتقال إلى (وسطن به جمعا) فيه دلالة على احتراق صفوف العدو، و بلاغة في الحذف و الإيجاز.[2]

ثانيا: العناية بالنحو و الإعراب بوصفهما مفتاحا للمعنى:

الزمخشري نحوي بارع، اعتمد الإعراب أداة تأويلية للكشف عن دلالات المعنى و يمتاز منهجه بالتفصيل الدقيق في بيان أوجه الإعراب المختلفة و ربطها بالمقاصد البيانية و السياق العام، يقول في مقدمة كتابه "جعلت علم النحو معيارا أزن به تفسير القرآن، لما فيه من بيان الجمل و تركيب الكلام، و ما يؤديه كل وجه من الإعراب من دلالة" [3]مثال على ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾القلم. قال: (على) تدل على الاستعلاء أي: أنت متمكن من هذا الخلق متمكنا عظيما لا يحيد عنه، و الجار و المجرور في محل خبر، و المعنى: يحمل معنى الثبات و الدوام و من هذا المثال "يتضح كيف أن الزمخشري يستخدم أدوات النحو لتحديد الصورة الذهنية يراد ترسيخها في ذهن المتلقي.

---

[1] الزمخشري، الكشاف، ج1، ص3.

[2] نفس المصدر السابق، ج4، ص726.

[3] نفس المصدر السابق، ج1، ص4.

ثالثا: الطابع الجدلي العقلي في العرض و الرد:

يغلب على تفسير الزمخشري الأسلوب الجدلي، خاصة في المسائل العقدية، إذ يقدم رأي المعتزلة، و يدافع عنه، ثم يرد على الخصوم بأسلوب حجاجي يقوم على السخرية أحيانا و اللاذع من التهكم أحيانا أخرى، و من أمثلة ذلك تفسير قوله تعالى: ﴿ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾**الصافات 96**،حيث رفض دلالة الآية على خلق الله لأفعال العباد كما (ترى الأشاعرة) و قال: " المراد خلق العباد و أعيان أفعالهم أما كسبهم فيهم، لا بغيرهم، و لو كانت أفعالهم مخلوقة لله كما تزعمون لكان العبد مجبورا، و هذا باطل عقلا و شرعا" [1]

رابعا: الترجيح بناءا على قواعد عقلية بلاغية:

الزمخشري يعرض الآراء و يرجح بينها استنادا إلى قواعد نحوية أو بلاغية أو عقلية، و غالبا ما يرجح القول الذي يتوافق مع النظم البلاغي و الذوق البياني مثال على ذلك في قوله تعالى: ﴿ مَا نَنسَخْ مِنَ اٰيَةٍ اَوْ نُنسِهَا نَاتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمَ اَنَّ اَللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾البقرة 106، عرض عدة أراء حول معنى النسخ و النسيان، ثم رجح أن المقصود بـ "ننسها" هو الترك و الإهمال لا النسيان الحقيقي، و علل ذلك بضعف القول المخالف لغة و سياقا.[2]

خامسا: استحضار السياق و المقام في التفسير:

الزمخشري لا يفسر الآية منعزلة عن سياقها، بل يربطها بما قبلها و ما بعدها، و يولي اهتماما بالمقام الذي وردت فيه، مثال على ذلك: في تفسير قوله تعالى:﴿ لَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ اَلَافِلِينَ﴾الأنعام76. يرى أن ابراهيم عليه السلام كان يتحدث مع قومه على سبيل المناظرة، لا عن اعتقاد شخصي و استند إلى السياق الحواري للدلالة على ذلك.[3]

و عموما تتميز خصائص تفسير الزمخشري بعمق لغوي و بلاغي لا نظير له، فهو يربط بين النحو و البلاغة، و يستخدم التحليل العقلي و الجدل الحواري، و يستحضر السياق العام للنصوص، و لهذا اعتبر الكشاف مدرسة قائمة بذاتها في التفسير، و أصبح مرجعا لا غنى عنه لكل من أراد دراسة بلاغة القرآن الكريم.

---

[1] الزمخشري، الكشاف، ج4، ص651

[2] نفس المصدر السابق، ج1،ص134

[3] نفس المصدر السابق، ج2، ص153.

المبحث الثالث: الدراسة البلاغية عن الزمخشري

المطلب الأول: المنهج البلاغي التطبيقي في تفسير الكشاف

المطلب الثاني: مفهوم البلاغة عند الزمخشري و منطلقاته النظرية

المطلب الثالث: عناية الزمخشري بعلم المعاني و تطبيقاته في الكشاف

المبحث الثالث: الدراسة البلاغية عند الزمخشري:

لقد انفرد الزمخشري بمكانة متميزة في الجمع بين التفسير و علوم البلاغة، حيث يتجلى في تفسيره الجنوح في قراءة النص القرآني قراءة بلاغية تستثمر أدوات البيان العربي و تراكيب اللغة، فقد تعامل الزمخشري مع البلاغة كمنهج تفسيري أصيل يرتكز على فهم الإعجاز البياني للنص، و قد أظهر الزمخشري براعة في توظيف مباحث المعاني و البيان و البديع، و انطلاقا من هذه الخلفية نسعى في هذا المبحث إلى تحليل جوانب الدراسة البلاغية عند الزمخشري.

المطلب الأول: المنهج البلاغي التطبيقي في تفسير الكشاف

يعد تفسير الكشاف من أهم التفاسير التي تجلت فيها النزعة البلاغية بوضوح، حيث اعتمد صاحبه على علوم البلاغة الثلاثة (المعاني، البيان، و البديع) في تحليل النص القرآني، و استنباط دلالته التعبيرية، و المعنوية، معتمدا في ذلك على منهج صارم منضبط لا ينفصل عن السياق العام للآية، و لا يتجاهل المعاني العقدية و اللغوية.

أولا: تفعيل علوم البلاغة في التفسير: من أبرز ما يميز الزمخشري في كتابه هذا تحويل البلاغة من علم نظري، إلى منهج تفسيري، فكلما مر بآية ذات بناء خاص أو ترتيب غير مألوف أو صورة بيانية لافتة، توقف عندها محللا الوظيفة البلاغية التي تخدم المعنى و تكشف أوجه الإعجاز، فعند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً﴾الفجر22، يعلق الزمخشري على الصورة البلاغية قائلا: " و معنى المجيء استعارة تمثيلية لأن اتيان السلطان بجنده و ملائكته دليل على تمام الهيبة و العظمة"[1] و يظهر هذا النص كيف يوظف الزمخشري البلاغة للكشف عن البعد العقدي في الصورة.

ثانيا: أثر نظرية النظم في منهج الزمخشري: يتجلى للأثر الواضح لنظرية النظم كما أصلها عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز، و التي تقوم على أن بلاغة الكلام لا تكمن في الألفاظ المفردة، و إنما في طريقة تركيبها و تأليفها في السياق، و قد صرح الزمخشري نفسه بتأثره بهذا الاتجاه، و إن لم يسم صاحبه (الجرجاني) ففي تفسير قوله تعالى ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ال عمران159، يتوقف الزمخشري عند الباء الزائدة في (بما) و يبين أثرها البلاغي في

[1] الزمخشري، الكشاف، ج4، ص744.

التوكيد و التلطيف قائلا: "فهي مزيدة للتأكيد كأن الرحمة من الله وحدها كانت سبب لينك لا شيء غيرها".[1]

هذا التفسير يكشف عن فقه دقيق للعلاقات النحوية و البلاغية، و هو ما يشكل جوهر النظم عند الجرجاني الذي قال: "النظم هو أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو"[2]

ثالثا: البلاغة وسيلة لفهم المعنى العقدي: عند الزمخشري لا تتفصل البلاغة عن الغرض التفسيري و العقدي، بل إنها تسهم في ترسيخ المعاني الدينية و توضيح وجوه الإعجاز القرآني، ففي تفسير قوله تعالى: ﴿ فَذَكِّرۡ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ﴾الأعلى9، يقول الزمخشري: "الشرط ليس لإخراج غير النافع، و إنما هو للإيماء إلى أن الجدوى في التذكير متوقعة، و أن البلاغة فيه قائمة"[3] و هذا يدل على أن الزمخشري يستثمر البلاغة في توجيه فهم المقاصد الإلهية و ليس فقط في بيان الأسلوب.

رابعا: خصوصية المنهج التطبيقي عند الزمخشري:

يمتاز المنهج التطبيقي عند الزمخشري بـ :

-التركيز على دلالة السياق دون فصل البلاغة عن المعنى المقصود.

-تفسير الظواهر الأسلوبية كتقديم و تأخير، و حذف، من منطلق دلالي.

-الربط بين الصور البلاغية، و الغاية الشرعية.

و لقد لخص الباحث محمد بلعربي هذه المنهجية بقوله "إن الزمخشري أعاد إلى البلاغة دورها الأصيل في فهم النص، بعدما كانت مقتصرة على الجماليات اللفظية".[4]

و الخلاصة: لقد شكل المنهج البلاغي التطبيقي عند الزمخشري نموذجا متقدما في تاريخ التفسير البياني، إذ زاوج فيه بين علوم العربية و البلاغة و بين الفهم العقدي للنص، و هذا ما جعل تفسير الكشاف مرجعا أساسيا في التفسير البلاغي للقرآن الكريم.

---

[1] الزمخشري، الكشاف، ج1، ص502.

[2] الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص46، تحقيق محمود مشاكر.

[3] الزمخشري، الكشاف، ج4، ص702.

[4] بلعربي، البلاغة القرآنية عند الزمخشري، مجلة البحوث و الدراسات الإسلامية، العدد 5-2017، ص44.

المطلب الثاني: مفهوم البلاغة عند الزمخشري و منطلقاته النظرية.

تعد البلاغة عند الزمخشري أساسا تأويليا مهما في فهم النص القرآني، و قد انعكس ذلك بوضوح في تفسيره الكشاف، حيث مزج بين علوم اللغة و البيان ليؤسس رؤية تفسيرية تقوم على البلاغة بوصفها أداة كاشفة عن وجوه الإعجاز في النص القرءاني، و من ثم لم تكن البلاغة عنده ترفا لغويا أو حلية تعبيرية بل كانت وسيلة للكشف عن عمق الخطاب الإلهي و سر تأثيره، و لذلك عرف الزمخشري البلاغة:

-تعريف الزمخشري للبلاغة: لم يورد الزمخشري في مقدمة الكشاف تعريفا صريحا للبلاغة، كما فعل بعض البلاغيين، لكن المتتبع لتحليلاته يرى انه ينطلق من تعريف البلاغة بوصفها "مطابقة الكلام لمقتضى الحال" و هو المفهوم الذي تبناه من خلال تأثره العميق بمن سبقه في هذا المجال، و قد أشار في مقدمة تفسيره إلى ذلك "فجعلت علم البيان قوام أمر التفسير، و عماده الذي عليه يعول"[1] و يفهم من ذلك أن الزمخشري يعتبر البلاغة شرطا لازما لفهم المعنى الحقيقي للآية الكريمة، لأن معاني النص لا تدرك إلا في العلاقات النحوية و البلاغية و دلالاتها.

- تأثره بالتراث البلاغي: الزمخشري امتداد لجهود سابقيه في حقل البلاغة، و من أبرز من تأثر بهم عبد القاهر الجرجاني خصوصا في نظرية النظم التي تقوم على أن بلاغة القرآن لا ترجع إلى المفردات منفردة، بل إلى طريقة تركيبها و نظمها، و هذا المفهوم ساعد الزمخشري لتطبيقه في الكشاف.

- الجاحظ(ت 255ه) الذي بين أن البيان نعمة من الله و أن بلاغة القرآن معجزة في نفسها.[2]

- سيبويه(ت 180ه) في جانب التحليل النحوي الذي يعد أساسا لفهم التركيب البلاغي.

-البلاغة و الإعجاز عند الزمخشري: يرى الزمخشري أن البلاغة في القرآن ليست مقصودة لذاتها، بل هي مظهر من مظاهر الإعجاز، و قد وظف الزمخشري علمي المعاني و البيان لتبيين هذا الإعجاز إذ يقول: (و جعلت علم البيان قوام أمر التفسير، و عماده الذي عليه يعول، و به يمثل

[1] الزمخشري، الكشاف، 1/4

[2] الجاحظ، البيان و التبيين، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل بيروت، ط1، 1998، ج1، ص75 و ما بعدها.

و يفصل، و من لم يعرفه فليكن عليه بمعزل) [1]،و يبرز من خلال هذه العبارات أن الزمخشري لا يقرأ الآية دون إحاطة بعلائقها السياقية و الأسلوبية، و هو ما يفسر كثرة استعماله لمصطلحات بلاغية دقيقة (كالتقديم و التأخير و الاطناب و الحذف و غيرها).

-البلاغة في الكشاف بين النظرية و التطبيق: الزمخشري لم يقف عند حدود التنظير البلاغي، بل تجلى جهده في كثير من المواطن من تفسيره، حيث يقوم بتحليل السياق، و شرح العبارات و ربطها بالأساليب العربية، موضحا الغاية التعبيرية من كل تركيب، فعلى سبيل المثال يعلل التقديم و التأخير في قوله تعالى ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾الفاتحة5. بأن تقديم المفعول إياك على الفعل (نعبد) يفيد الحصر و الاختصاص، و هو أسلوب عربي يفيد الانحصار، أي: لا نعبد إلا إياك،[2] كما يستعرض سبب العدول في الأسلوب، و بين أثره البلاغي كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾الشعراء80، فقال: (إن العدول من التعبير بالفعل المبني للمجهول (مرضت) إلى الفعل المسند إلى هو في (فهو يشفين) فيه توجيه بلاغي يبرز انفراد الله بالشفاء دون سواه).[3]

يتضح مما سبق أن الزمخشري لم يتعامل مع البلاغة كعنصر مكمل للتفسير بل جعلها نواة مركزية في مشروعه التفسيري، انطلاقا من قناعته بأن فهم الإعجاز القرآني لا يتم إلا بالوعي العميق بأساليب العربية و وجوه البيان، و قد أبرز من خلال الكشاف منهجا بلاغيا فريدا، يقوم على ربط التراكيب بالمعاني، كما أن مقدمته لكتابه شكلت بيانا منهجيا واضحا، يؤسس لتفسير قائم على قواعد البلاغة و أصول البيان العربي.

المطلب الثالث: عناية الزمخشري بعلم المعاني و تطبيقاته في الكشاف

يعد علم المعاني من أهم علوم البلاغة التي اعتنى بها الزمخشري في تفسيره الكشاف، إذ جعله أداة لفهم النص القرآني، و كشف أبعاده الدلالية الدقيقة، و قد ركز الزمخشري على هذا العلم لما له من دور جوهري في فهم النص القرآني و تفسيره

أولا: علم المعاني مفتاحا لفهم النظم القرآني:

[1] الزمخشري، الكشاف، ج1، ص4.

[2] نفس المصدر السابق، ج1، ص30.

[3] نفس المصدر السابق، ج3، ص205.

لم يكن اهتمام الزمخشري بعلم المعاني عرضيا أو هامشيا، بل اعتبره المدخل الضروري لفهم القرآن الكريم، و قد صرح في مقدمة كشافه بقوله: "و لا ترى لنفسك أهلا للنظر في كتاب الله حتى تحكم من علوم العربية ما تقف به على علم ما خص به من أساليب الكلام، من الاختصار، و الحذف، و التقديم و التأخير، و التعريف و التنكير، و الفصل، و الوصل.[1]

ثانيا: تطبيقات الزمخشري في تحليل الظواهر المعنوية

-الحذف و الإختصار: عالج الزمخشري الحذف باعتباره فنا بلاغيا قائما على الثقة بفهم المخاطب و ملائمة السياق، و من الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا ﴾ يوسف 82. حيث قال: " في الكلام حذف، أي: أهل القرية، لكن الحذف هنا أبلغ و أدل على بلاغة الخطاب"[2] فهو لا يكتفي بالإشارة إلى الحذف، بل يعلله، و يبين كيف يضفي الحذف دقة على المعنى.

-التعريف و التنكير: تنوع الأسلوب بين النكرة و المعرفة في القرآن يجد تفسيره البلاغي عند الزمخشري، ففي قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَ مِنَ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ ﴾يس 20، قال: (نكر (رجل) لإبهامه أولا: ثم تعظيم شأنه بما ظهر منه بعد و هذا من فنون البلاغة[3]، فالزمخشري يبرز أن التنكير هنا لم يستخدم عبثا، بل هو تمهيد بلاغي، يمهد لظهور قيمة هذا الرجل لاحقا في النص.

-الفصل و الوصل: ناقش الزمخشري الفصل و الوصل على أنهما من أعمق قضايا النظم، فالفصل يدل على استقلال المعنى، و الوصل يدل على الترابط و من الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾البقرة6. قال: "الفصل في (أأنذرتهم) عن (لم تنذرهم) لبيان أن الحكم في الحالتين سواء، و التأكيد على انعدام التأثير"[4] و هذا التحليل يؤكد دقته في تبيين أثر أدوات الربط في تشكيل المعنى القرآني.

---

[1] الزمخشري، الكشاف، ج1، ص4.

[2] نفس المصدر السابق، ج2، ص324.

[3] نفس المصدر السابق ، ج3، ص18.

[4] نفس المصدر السابق ، ج1، ص34.

ثالثا: أثر هذا المنهج فيمن جاء بعده:

امتد تأثير الزمخشري في علم المعاني إلى معظم المفسرين و البلاغيين الذين جاؤوا بعده كالبيضاوي في أنوار التنزيل، و أبي حيان الأندلسي في البحر المحيط، بل و حتى في الردود عليه كما في الانتصاف لابن المنير، و قد أشار الدكتور محمد أبو موسى إلى هذا الأثر بقوله"إن الزمخشري فتح الباب واسعا أمام دارسي علم المعاني، و ربط هذا العلم بالنص القرآني ربطا لم يسبقه إليه أحد بهذه القوة"[1]

و في الأخير: إن القراءة المتأنية للكشاف تبرز أن الزمخشري جعل من علم المعاني مرتكزا تحليليا لفهم بنية الخطاب القرآني، و لم تكن تحليلاته مجرد شروحات نحوية، بل كانت دراسات بلاغية عميقة تفسر الإعجاز من حيث النظم و التناسق و التناسب، مما منح تفسيره طابعا تجديديا في ربط البلاغة بالتفسير، و يمكن القول في ختام هذا المبحث أن دراسة البلاغة عند الزمخشري تظهر تكاملية التفسير القرآني الذي لا يكتفي بالشرح الفقهي أو العقلي، بل يجعل من البلاغة عنصرا محوريا في فهم النص و كشف أبعاده الإعجازية، و قد أحسن الزمخشري الجمع بين علوم العربية و التفسير، ليقدم نموذجا فريدا في التفسير البياني، و بناءا على ما سبق فإن الدراسة البلاغية عند الزمخشري لا تمثل مجرد اجتهاد لغوي، بل تجربة تأويلية متكاملة تكشف عن وعي عميق بنية الخطاب القرآني، و عن تفاعل خلاق بين علوم اللغة و الدين، و هذا ما يجعل من الكشاف مرجعا لا يستغنى عنه في كل دراسة جادة تهدف إلى استجلاء الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم.

[1] محمد أبو موسى، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، مكتبة وهبة، القاهرة، ط3، 2003م، ص78.

خاتمة

خاتمة: و في الختام و من خلال دراسة هذا المنهج البلاغي في التفسير، تتضح لنا معالم تجربة تفسيرية فريدة، جمعت بين عمق اللغة و دقة المعنى، و بين الفهم التفسيري و التحليل البلاغي، في إطار علمي متماسك، و قد تبين لنا من خلال هذا البحث أن الزمخشري لم يكن مجرد مفسر يشرح ألفاظا أو يعرض أقوالا، بل كان عالما بصيرا بلسان العرب محيطا بأسرار البيان القرآني، عارفا بمواضع الجمال الفني في النص القرآني، و من أهم النتائج التي توصل إليها البحث:

- البلاغة ركيزة من ركائز تفسير الكشاف: فقد تبين أن الزمخشري جعل من البلاغة محورا أساسيا في تفسيره، بل إن تفسيره يعد من أوائل التفاسير التي عنيت بالبلاغة بهذا الشكل المنهجي و الدقيق، فهو ينظر إلى المعاني من حيث ملاءمتها للسياق و يبرز جماليات التعبير في كل تركيب.

- الدمج بين البلاغة و النحو في إطار تفسيري واحد: ما جعل تفسيره ذا طابع خاص، جمع فيه بين البلاغة و البيان و النحو، جمع كل ذلك في تفسيره الكشاف.

- تأثره الواضح بعلماء البلاغة، اللغة، كشفت الدراسة أن الزمخشري تأثر تأثرا بينا بجهود سابقيه في البلاغة خاصة عبد القاهر الجرجاني، و هو ما يبدو في تحليلاته لتراكيب الآيات، إلا أنه قد أعاد صياغة هذه المفاهيم ضمن إطار تفسيري فجعلها أدوات استنباط بياني للمعنى.

- إبراز الإعجاز البياني للقرآن بأسلوب تطبيقي: حيث ركز الزمخشري على إعجاز القرآن من حيث سبكه و لغته، و كان يختار النماذج القرآنية التي يظهر فيها التفوق البياني في نظم العرب، و بين أن التعبير القرآني جاء أبلغ و أجمل مما يقدر عليه البشر، مستندا في كل ذلك إلى أدوات البلاغة من كناية و مجاز و تشبيه و إيجاز، و غير ذلك.

- تفسير الكشاف يعد مرجعا بلاغيا بعد الزمخشري:

أصبح الكشاف مرجعا رئيسيا لدارسي البلاغة في التفسير، و من جاء بعده من المفسرين، تأثروا به و بمنهجه، و منهم من رد عليه، كالبيضاوي في أنوار التنزيل، و ابن المنير في الانتصاف، هذا مما يعكس تأثيره العميق.

- نقد معتدل في إطار علمي: رغم ما وجه للزمخشري من ملاحظات و انتقادات تتعلق خاصة بمذهبه الاعتزالي، إلا أن منهجه البلاغي في تفسيره قد لقي الثناء الحسن من جمهور المفسرين، و صار محط إعجاب لمن جاء بعده، و هذا المنهج هو أكثر ما حمد عليه في تفسيره.

- تفسير الكشاف يعد من أهم التفاسير البيانية إن لم يكن أهمها.

- برز التفسير البياني في الكشاف في مظهرين: أحدهما: المباحث البلاغية و الآخر تطويع العربية في خدمة الاعتزال.

- إن تفسير الكشاف هو الممثل الرسمي الواضح لتفاسير فرقة المعتزلة، و هو تفسير جليل رائد لا يعيبه إلا اعتزاليات صاحبه و انتصاره لمذهبه.

و أخيرا يمكن القول أن تفسير الكشاف للزمخشري يشكل علامة فارقة في مسار التفسير البياني للقرآن الكريم، جمع فيه صاحبه بين علوم اللغة و البلاغة في سياق تفسير يقوم على الاقناع و الإمتاع، و يعكس العمق العلمي، و الذوق الأدبي في آن واحد، و إن دراسة منهجه البلاغي هي إعادة بناء لوعينا بجمالية النص القرآني و قدرته على مخاطبة الوجدان و العقل.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم، برواية ورش عن نافع.

1- الزمخشري، محمود بن عمر ، جار الله، (ت538ه)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل، ت: عادل عبد الموجود، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، (1418ه/1998م).

2- ابن المنير، ناصر الدين بن أحمد بن محمد بن منصور، (ت683ه)، الإنتصاف، ت: محمد عبد السلام شاهين، بيروت دار الكتب العلمية، 1996م.

3- ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، ت: عبد الفتاح أبو غدة، ط3، بيروت مؤسسة الرسالة، 1416ه/1996م.

4- أحمد محمدي الحوفي، الزمخشري (القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1980)

5- الجاحظ، أبو عثمان عمر بن بحر ابن محبوب البصري، (ت255ه)، البيان و التبيين، ت: عبد السلام محمد هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1968م.

6- الحاشري، عبد العزيز، تسهيل البلاغة، القاهرة، دار المعارف، 1960م.

7- صلاح عبد الفتاح الخالدي، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، دار القلم، دمشق.

8- عبد الحميد السيد، دراسات في الليسانيات العربية، دار الحامد، ط1، الأردن2004.

9- عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر، تفسير الكشاف بين التحليل و التأويل، الرياض مكتبة الرشد، 1998م.

10- فاضل السمرائي، الدراسات النحوية و اللغوية عند الزمخشري، دار عمار عمان، ط1، 1983م.

11- كمال جبري عبهري، الزمخشري، سيرته و أثره و مذهبه النحوي، دار الجنان للنشر و التوزيع، 2014م.

12- الذهبي، سير أعلام النبلاء، ت: شعيب الأرنؤوط، بيروت مؤسسة الرسالة، ط3، 1981م.

13- الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى، (ت384ه)، المكتبة التيمورية، دار الكتب المصرية القاهرة، ت ن: 1096ه.

14- الزمخشري، أساس البلاغة، ت: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية بيروت.

15- الزمخشري، أطواق الذهب في المواعظ و الخطب، ت: علي محمد بوجاوي، القاهرة، دار المعارف، 1963م.

16- الزمخشري، ديوان الزمخشري، تحقيق و نشر: من قبل دار صادر بيروت، ط1، (1429ه/2008م).

17- الطيبي، شرف الدين الحسين ابن عبد الله (743ه)، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب(حاشية على الكشاف)، ت: عبد الحميد هنداوي بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2007، ج1، ص10/9.

18- الفيروز أبادي، الإمام مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب ، (ت817ه)، القاموس المحيط، ط8، 1426ه/2005م، مؤسسة الرسالة للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان.

19- بلعربي، البلاغة القرآنية عند الزمخشري، مجلة البحوث و الدراسات الإسلامية، العدد 5-2017، ص44.

20- بوجمعة شتوان، بلاغة النقد و علم العشر في التراث النقدي، دار الأمل للطباعة و النشر و التوزيع، تيزي وزو.

21- تمام حسن، البيان في روائع القرءان، القاهرة مكتبة النهضة المصرية، 1973م.

22- حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون، دار الفكر بيروت.

23- رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة و مناهج البحث اللغوي، القاهرة مكتبة الخانجي، ط4، 1997م.

24- صالح بن غرم الله الغامدي، مسائل الاعتزالية في تفسير الكشاف للزمخشري في ضوء ما ورد في كتاب الانتصاف لابن المنير، حائل دار الأندلس، 1995م.

25- عبد الجبار بن أحمد، شرح الأصول الخمسة، ت: عبد الكريم عثمان، دار الأنصار، ص42.

26- عبد العزيز عودة، البلاغة الجديدة بين التخييل و التأويل، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2003.

27- عبد القادر حسين، البلاغة في تفسير الزمخشري، دار الفكر بيروت 1995، 30/27.

28- عمر رضا كحالة، معجم المألفين، دار احياء التراث العربي بيروت، ط1957/1.

29- كيليطو عبد الفتاح، الغائب، الدار البيضاء، توبقال، 1992.

30- مجدي وهبة، معجم المصطلحات العربية في اللغة و الأدب، مكتبة لبنان بيروت، ط2، 1984م.

31- محمد أبو موسى، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، مكتبة وهبة، القاهرة، ط3، 2003م، ص78.

32- محمد حسين الذهبي، التفسير و المفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 2000.

33- محمد حسين الصغير، المستشرقون و الدراسات القرآنية، الناشر، دار المؤرخ العربي، سنة النشر: 1999م/1420هـ.

34- محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي)، ط3، د.ت، ج2، ص70.

35- مصطفى الصاوي الجويني، منهج الزمخشري في تفسير القرآن و بيان إعجازه، القاهرة دار المعرفة، ط2، 1968.

36- ياقوت الحموي، أبو الفرج الياقوت بن عبد الله الحموي، (626هـ)، معجم الأدباء، ارشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ت: احسان عباس، دار الغرب الإسلامي بيروت، 1993م.

37- يوسف عبد الله، أثر العقيدة في التفسير عند الزمخشري، مجلة جامعة الإمام، ع21، 1421هـ، ص114.

38- ابن الأثير، علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، (630هـ)، المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر، ت: محي الدين عبد الحميد، مطبعة مصطفى الحلبي و أولاده، مصر، (1358هـ/1939م).

39- ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي أبو الفلاح، (ت1089هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ت: عبد القادر أرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط1، 1406هـ/1986م.

40- ابن خلدون، المقدمة، بيروت دار الفكر، 2001م.

41- ابن منظور، جمال الدين بن محمد ، (ت711هـ)، لسان العرب، دار الجيل بيروت 1988م.

42- أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف الغرناطي، (ت745هـ)، ط1، 1420هـ/2000م، دار الفكر بيروت.

43- أحمد الهاشمي، (ت1362هـ)، جواهر البلاغة في المعاني و البيان و البديع، ت: علي محمد اسبر، بيروت، دار الكتب العلمية، 2003م.

44- البيضاوي، عبد الله بن عمر، (ت685هـ)، أنوار التنزيل و أسرار التأويل، مقدمة الكتاب، ت: محمد عبد الرحمن المرعشلي، بيروت، دار احياء التراث العربي، ط1، 1418هـ/1997م.

45- الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص46، ت: محمود مشاكر.

46- عبد المحسن ابن عبد العزيز العسكر، تفسير الكشاف بين التحليل و التأويل، الرياض مكتبة الرشد، 1419هـ/1998م.

47- الذهبي، أبو عبد الله شمس الدّين مُحَمَّد بن أحمد بن عُثمان ، ميزان الاعتدال، ت: محمد علي البجاوي، القاهرة دارة المعرفة، 1963م.

48- الزجاج، ابو اسحاق ، (ت311ه)، معاني القرآن و اعرابه، ت: عبد الجليل عبدو شلبي، بيروت عالم الكتب، 1408ه/1988م.

49- الزمخشري، الفائق في غريب الحديث و الأثر، ت: علي محمد البوجوي و محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعرفة بيروت.

50- الزمخشري، محمود بن عمر ، نوابغ الكلم، ط1، 1286ه، مطبعة واد النيل القاهرة.

51- الزمخشري، مقامات الزمخشري، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1402ه/1982م.

52- الزمخشري، مقدمة الأدب، ت: محمد مختار عمر، ط1، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1999م.

53- السكاكي، أبو يوسف اسماعيل بن أحمد ، (ت606ه) مفتاح العلوم، ت: أكرم عثمان يوسف، دار الرسالة بغداد ط1، 1400ه/1981م.

54- السمعاني، عبد الكريم بن محمد ، (ت562ه)، الأنساب، ت: عبد الله عمر البارودي، بيروت دار الجنان، 1988م.

55- السيوطي، الإمام جلال الدين ، (ت911ه)، طبقات المفسرين، ت: علي محمد عمر، القاهرة مكتبة وهبة، 1976م.

56- السيوطي، جلال الدين ، (ت911ه)، الإتقان في علوم القرآن، ت: أحمد محمد شاكر، دار التراث القاهرة، 1978م.

57- الشريف الجرجاني، علي بن محمد بن علي الحسيني (ت816ه)، كتاب التعريفات، ت: عبد المنعم حفني، دار الرشاد القاهرة.

58- الطاهر بن عاشور، (ت1993م)، التحرير و التنوير، تحرير المعنى السديد و تنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، الدار التونسية للنشر، 1984م.

59- القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح ، (ت671ه)، الجامع لأحكام القرآن، مقدمة التفسير. ت: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة بيروت، 2006م.

60- القزويني، أبو الريحان محمد بن احمد (ت440ه)، الإيضاح في علوم البلاغة، ت: عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب العالمي، الدار الإفريقية، مصر، ط3/1، 1409ه/1989م.

61- المبرد، أبو علي محمد ابن محمد (ت285ه)، البلاغة، ت: رمضان عبد التواب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1 (1405ه/1989م).

62- بدر الدين الزركشي، أبو عبد الله، بدر الدين، محمد بن بَهادُر بن عبد الله الزَّرْكَشِيّ المصري، (ت745ه)، البرهان في علوم القرآن، ت: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية، 1957م.

63- جلال الدين السيوطي، (ت911ه)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة، ت: أبو الفضل ابراهيم، المكتبة العصرية صيدا بيروت.

65- خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، ط15، 2002م.

66- ابن خلكان، أحمد بن محمد بن ابراهيم ابن أبي بكر ، (ت681ه)، وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان، ت: احسان عباس، دار صادر، بيروت، ط2، 1972م.

فهرس الآيات القرآنية:

الآية	اسم السورة / رقم الآية	الصفحة
﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴾،	سورة البلد / الآية 11	5
﴿ وَلَا يَاتُونَكَ بِمَثَلٍ اِلَّا جِيْنَٰكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً ﴾"	سورة الفرقان / الآية 33	6
رَبِّ ٱرْجِعُونِ	سورة المؤمنون / الآية 99	20
أُوْلَٰٓئِكَ ٱلذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِالْهُدٰي فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ	سورة البقرة / الآية 16	31
إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ	سورة المرسلات / الآية 32-33	32
كِتَٰبٌ اَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَي ٱلنُّورِ	سورة ابراهيم / الآية 01	33
لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوٰتِ وَالاَرْضِ وَالذِينَ كَفَرُواْ بِأَيٰتِ اِللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ	سورة الزمر / الآية 63	33
وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلاِنسٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ	سورة ق / الآية 16	34
يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلاً	سورة الإسراء / الآية 52	34
ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَي ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوِيٰ	سورة طه / الآية 05	41
وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ اِلَيٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ	سورة القيامة / الآية 22-23	42
فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعاً فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعاً	سورة العاديات / الآية 04-05	43
وَإِنَّكَ لَعَلَيٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ	سورة القلم / الآية 04	43
خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ	سورة الصافات / الآية 96	44
مَا نَنسَخْ مِنَ اٰيَةٍ اَوْ نُنسِهَا نَاتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمَ اَنَّ ٱللَّهَ عَلَيٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ	سورة البقرة / الآية 106	44
لَمَّا أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلاَفِلِينَ	سورة الأنعام / الآية 76	44
وَجَآءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً	سورة الفجر / الآية 22	47
فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ	سورة آل عمران / الآية 159	47
فَذَكِّرِ اِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرٰي	سورة الأعلى / الآية 09	48
إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ	سورة الفاتحة / الآية 05	50
وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ	سورة الشعراء / الآية 80	50
وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلتِي كُنَّا فِيهَا	سورة يوسف / الآية 82	51
وَجَآءَ مِنَ اَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعٰي	سورة ياسين / الآية 20	51
إِنَّ ٱلذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَانذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُومِنُونَ	سورة البقرة / الآية 06	51

فهرس الموضوعات

مقدمة: 1

مدخل: 1

الفصل الأول : نتحدث فيه عن الجانب النظري من هذا البحث و فيه مبحثان: 4

المبحث الأول: ضبط المصطلحات 4

المطلب الأول: المنهج 4

المطلب الثاني : البلاغة 4

المطلب الثالث: التفسير 6

المبحث الثاني: تعريف بصاحب الكتاب، الإمام الزمخشري و بعض مؤلفاته،و المنهج العلمي الذي سلكه في مؤلفاته التفسيرية و اللغوية. 9

المطلب الأول: تعريف بصاحب التفسير 9

المطلب الثاني: مؤلفات الإمام الزمخشري: 16

المطلب الثالث: المنهج العلمي للزمخشري في مؤلفاته التفسيرية و اللغوية: 19

الفصل الثاني: قراءة في كتاب (الكشاف للزمخشري) 23

المبحث الأول: التعريف بكتاب الكشاف: المبحث يعرف بهذا الكتاب "الكشاف" و يقوم بدراسة تحليلية حوله (المنهج البلاغي) و تطبيقاته حول المباحث البلاغية في الكشاف. 23

المطلب الأول: التعريف بكتاب الكشاف للزمخشري 23

المطلب الثاني: دراسة الجانب البلاغي في تفسير الكشاف : 30

المطلب الثالث: من تطبيقات المباحث البلاغية التي تناولها الزمخشري في الكشاف 32

المبحث الثاني: المنهج العام للزمخشري في تفسيره: 36

المطلب الأول: منهج الزمخشري في تفسيره 36

المطلب الثاني: المنطلقات العامة لتفسير الزمخشري: 39

المطلب الثالث: خصائص منهجه التفسيري 42

المبحث الثالث: الدراسة البلاغية عند الزمخشري: 45

المطلب الأول: المنهج البلاغي التطبيقي في تفسير الكشاف 45

المطلب الثاني: مفهوم البلاغة عند الزمخشري و منطلقاته النظرية. 47

المطلب الثالث: عناية الزمخشري بعلم المعاني و تطبيقاته في الكشاف 48

الخاتمة: 52

الملخص

يدرس هذا البحث المنهج البلاغي الذي اعتمده الزمخشري في تفسيره" الكشاف"،و هو منهج يقوم على استثمار في علوم البلاغة، وذلك بالكشف عن أسرار نظم القرآن، و توجيه المعاني الدقيقة للنص القرآني، و يركز على استخراج و تحليل أدوات الزمخشري البلاغية في شرح الآيات، و تبيين لنا من خلال هذا البحث، كيف جعل صاحب الكشاف من البلاغة وسيلة لفهم دقيق لمقاصد القرآن... كما يناقش البحث مدى تأثير خلفية الزمخشري الإعتزالية على توجيهاته البلاغية، و يوازن بين القيمة العلمية العالية لتفسيره و بين بعض الملاحظات العقدية عليه، كما يبرز البحث أثر الكشاف في التراث البلاغي و التفسيري اللاحق.

الكلمات المفتاحية: المنهج البلاغي، الزمخشري، تفسير الكشاف، الإستعارة، البلاغة القرآنية.

summary:

This research examines the rhetorical methodology adopted by Al-Zamakhshari in his Qur'anic exegesis Al-Kashshaf. It is a method based on employing the sciences of rhetoric to uncover the secrets of Qur'anic composition and to interpret the subtle meanings of the Qur'anic text. The study focuses on analyzing Al-Zamakhshari's rhetorical tools in explaining the verses and demonstrates how he used rhetoric as a means to deeply understand the purposes of the Qur'an. The research also discusses the extent to which Al-Zamakhshari'sMu'tazilite background influenced his rhetorical interpretations and balances the high scholarly value of his exegesis with certain theological observations. Furthermore, the study highlights the impact of Al-Kashshaf on later rhetorical and exegetical traditions.

Keywords: rhetorical approach, Al-Zamakhshari, Al-Kashshaf

interpretation, metaphor, Quranic rhetoric.